تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة والرد على الطاعنين

إعداد

د /وردة عبدالرحمن عبدالسميع

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد –

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

جامعة الأزهر الشريف، مصر

من ١٠١٥ إلى ١١٠٢

Reflections on the Similar verses of Surat Al-Ma'idah
And respond to the appellants

Preparation

Dr. Warda Abdel Rahman Abdel Samee

Assistant Professor of Interpretation and Quranic Sciences.

College of Islamic and Arabic Studies for Girls in ZagazigAl-Azhar University, Egypt

تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة والرد على الطاعنين

وردة عبدالرحمن عبدالسميع ،
قسم التفسير وعلوم القرآن-كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق-جامعة الأزهر الشريف، مصر
البريد الالكتروني:Wardaabdasamie2.67@azhar.edu.eg

الملخص:
لما كان القرآن الكريم المنزل على رسوله الأمين بلسان عربي مبين، المتعبد بتلاوته المتحدي بأقصر سورة منه، المعجزة الخالدة الذي لا ينفذ عجائبه، ولا ينقطع مدده متعدد أوجه إعجازه كاملاً في إعجازه وفصاحته وبلاغته معنى ونظمًا فكل لفظه بل كل حرف قد وضع في موضع سديد يتناسب مع سياق نظمه السابق واللاحق ولو وضع حرفًا آخر مكانه لاختل المعنى وفسد السياق، ويحوي في ثناياه آيات متشابهات في النظم لدراستها أهمية بالغة في خدمة كتاب الله تعالى، وتدبر نظمه المعجز، وتوجيه ما اختلف فيه من الآيات المتشابهة وحماية من طعن الطاعنين وكيد الملحدين، ومن ثم كان عنوان البحث «تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة والرد على الطاعنين» ٠
وقد اشتمل على تمهيد وثلاث مباحث وخاتمة وفهرسًا للمراجع ٠
وقد ذكر في التمهيد تعريف المتشابه لغة واصطلاحًا ومعنى متشابه القرآن وتعريف موجز بالسورة الكريمة ٠المبحث الأول: تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السورة الكريمة واحتوى هذا المبحث على عشر آيات ٠المبحث الثاني: تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السور الأخرى واحتوى هذا المبحث على ست وعشرين آية ٠المبحث الثالث: الرد على الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه النظم ٠

الكلمات المفتاحية: تأملات - متشابهات - سورة - المائدة - الطاعنين ٠

Reflections On The Similar Verses Of Surat Al-Ma’idah And Respond To The Al-Anba'in .

Warda Abdul Rahman Abdul Samie
Department Of Interpretation And Quran Sciences - College Of Islamic And Arabic Studies For Girls In Zagazig - Al-Azhar University, Egypt.
Email: Wardaabdasamie2.67@azhar.edu.eg

Abstract:

Since the Noble Qur’an revealed to its faithful Messenger in a clear Arabic tongue, the worshiper with its defiant recitation by the shortest chapter of it, is the eternal miracle whose miracles do not pass through, and its duration is not interrupted. With the context of its previous and subsequent systems, and if another letter was put in its place, the meaning would be lost and the context would be corrupted, and it contains in its folds verses that are similar in the systems to study them of great importance in serving the Book of God Almighty, and managing its miraculous systems, and directing what differed in it from similar verses and protection from the slanderers and the plots of atheists, and from Then the title of the research was “Reflections on the Similarities in the Verses of Surat Al-Ma’idah and Refutation of the Rebels” .

It includes an introduction, three chapters, a conclusion, and an index of references.

It was mentioned in the preface - the definition of similar language, idiomatic and meaning similar to the Qur’an and a brief definition of the noble Surah The first topic: Reflections on the similarities of the verses of Surat Al-Ma’idah with the verses of the noble surah. Twenty-six verses The third topic: the response to the refutations of the Qur’an because of its similar systems.

Keywords: Reflections - Paraphrases - Surah - Al-Ma'idah - Al-Anba'in .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وبعد

فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو الذي لا ينفذ عجائبه، تحدى الله به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بمثل أقصر سورة فيه فعجزوا، فالقرآن الكريم متعدد أوجه إعجازه كاملاً في إعجازه وفصاحته وبلاغته معنى ونظمًا فكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضعه السديد المتناسب مع سياق نظمه السابق واللاحق.

ولو وضع حرفًا آخر مكانه لاختل المعنى وفسد السياق – ويحوي في ثناياه آيات متشابهات في النظم ولدراسته، أهمية بالغة في خدمة كتاب الله تعالى، وتدبر نظمه المعجز، وتوجيه ما اختلف فيه من الآيات المتشابهة وحمايته من طعن الطاعنين، وكيد الملحدين، ومن ثم كان عنوان البحث: تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة والرد على الطاعنين.

وقد اشتمل على: تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وفهرسًا للمراجع.

وقد ذكرت في التمهيد: تعريف المتشابه لغة واصطلاحًا ومعنى متشابه القرآن، كما اشتمل على تعريف موجز بسورة المائدة.

المبحث الأول: تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السورة الكريمة واحتوى هذا المبحث على عشر آيات.

المبحث الثاني: تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السور الأخرى واحتوى هذا المبحث على ست وعشرين آية.

المبحث الثالث: الرد على الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه النظم.

وخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث، وفهرسًا للمراجع.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وحسبي أني بذلت جهدي والله من وراء القصد وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

وقبل أن نبدأ بالتأملات في متشابهات آيات سورة المائدة والرد على الطاعنين يجدر بنا أن نعرف المتشابه لغة واصطلاحًا وتعريف متشابه القرآن والتعريف بالسورة الكريمة.

معنى المتشابه في اللغة:

يستعمل اللغويون مادة التشابه فيما يدل على المشاركة والمماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس.

فالمتشابهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات المتماثلات، والتشبيه: التمثيل، والشبهة: الالتباس، وأمور مشتبهة ومشبهة مشكلة يشبه بعضها بعضًا[١].

فالشبهة الالتباس، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات[٢].

وتشابه الشيئان واشتبها: إذا تماثلا في الصفات، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٣] أي تماثلت في الغي والضلال، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾[٤] أي: تماثلا في الصفات.

إذن فالاشتباه والتشابه: بمعنى التماثل في الأوصاف، ولو لم يكن الأمر كذلك لفسد المعنى، وبطل أمر التقابل في قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾[٥].

ومنه اشتبهت الأمور أي: التبست وأشكلت.

والمتشابه في الاصطلاح: هو أن تتماثل الكلمات في الألفاظ، وتختلف في المعنى، وقيل: هو ما أمرت أن تؤمن به، ونكل علمه إلى عالمه[١].

---

(١) لسان العرب لابن منظور: فصل الشين المعجمة ــ حرف الهاء ــ صـ١٣ صـ٥٠٣ ــ ط: دار صادر بيروت.

(٢) راجع: مختار الصحاح لعبدالقادر الرازي باب الشين صـ١٦٢ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٨ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٧٠ .

(٥) سورة الأنعام: الآية ٩٩ .

والمقصود من المتشابه في القرآن الكريم:

إن المتشابه في القرآن الكريم ينقسم في اصطلاح العلماء إلى قسمين:

الأول: متشابه من حيث المعنى.

الثاني: متشابه من حيث اللفظ.

فالمتشابه من حيث المعنى هو الذي أمرنا أن نؤمن به ونكل علمه إلى عالمه، وذلك مثل الحروف المقطعة في أوائل السور، وأوصاف الله تعالى، واليوم الآخر وما يتعلق به من أحوال وأهوال، فهذا كله لا يمكن لنا أن نقف عليها بالحقيقة، لأنه غيبي لا يمكن أن نحسه.

وهذا المتشابه هو الذي يقابل بالمحكم ولا بجامعه، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

أما المتشابه من حيث اللفظ، وهو تكرار بعض الآيات في مواضع متعددة وسور مختلفة، والمعنى الأصلي في هذه الآيات واحد والتراكيب اللفظية يشبه بعضها بعضًا في أصل العبارة، وقوامها وفيها شيء من التقديم والتأخير، الذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والفك والإدغام، والإفراد والجمع، والتذكير والتأنيث، وإبدال حرف مكان حرف وإبدال كلمة بأخرى وغير ذلك.

---

(١) متشابه القرآن الكريم دراسة نظرية وتطبيقية للأستاذ الدكتور/ السيد إسماعيل علي سليمان عوض ــ ط/ الأولى ١٤٤١هـ ــ ٢٠١٩م.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧ .

وهذا النوع من المتشابه هو الذي يطلق عليه العلماء متشابه النظم كما صرح بذلك الجرجاني[١] وهو الذي لا يقابل بالمحكم، بل يجامعه، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾[٢].

التعريف بالسورة الكريمة ـ سورة المائدة ـ:

سميت سورة المائدة بهذا الاسم: لأن قصة المائدة أعجب ما ذكر فيها، ولاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن، وعنف شديد على من كفر، فهو أعظم دواعي قبول التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الإيماني بين الله وبين عبيده[٣].

وتسمى أيضًا بالعقود والمنقذة لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب[٤].

وتسمى سورة العقود وسورة الأحبار[٥].

وهذه السورة مدنية[٦] وقال القرطبي[٧] هي مدنية بالإجماع.

آياتها: مائة وعشرون[٨] عند الكوفيين، وثلاث وعشرون عند البصريين، واثنتان وعشرون عند غيرهم[٩].

مقصودها: الوفاء بما هدى الكتاب ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق شكر النعمة ، واستدفاعًا لنقمه، وقصة المائدة أدل ما فيها

---

(١) راجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي: جـ١ صـ١١٢ : ١٣٥ بتصرف، ودلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني صـ٦٤ ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٩ .

(٣) راجع: محاسن التأويل للقاسمي: مجلد ٤/ جـ٤/ صـ٣ .

(٤) راجع: روح المعاني للألوسي: جـ٣ صـ٢٢١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٥) ينظر: نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور جـ٦ صـ٦٩ .

(٦) راجع: محاسن التأويل للقاسمي: جـ٤ صـ٣ .

(٧) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: جـ٦ صـ٣٠، وفتح القدير للشوكاني جـ٢ صـ٥ .

(٨) راجع: محاسن التأويل للقاسمي: جـ٤/ صـ٣ .

(٩) راجع: روح المعاني للألوسي: جـ٣ صـ٢٢١ .

على ذلك، فإن مضمونها أن من زاغ عن الطمأنينة بعد الكشف الشافي، والإنعام الوافي، أخذه بالعذاب[١].

تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السورة الكريمة وقد احتوى هذا المبحث على عشر آيات على النحو الآتي:

الآية الأولى: تشابهت الآية الثانية مع الثامنة من السورة الكريمة.

الآية الثانية: تشابهت الآية الثالثة مع الآية الرابعة والأربعون.

الآية الثالثة: تشابهت الآية السابعة مع الآية الثامنة.

الآية الرابعة: تشابهت الآية الثالثة عشر مع الآية الحادية والأربعون.

الآية الخامسة: تشابهت الآية الخامسة عشر مع الآية التاسعة عشر.

الآية السادسة: تشابهت الآية السابعة عشر مع الآية الثامنة عشر.

الآية السابعة: تشابهت الآية الثالثة والثلاثون مع الآية الحادية والأربعون.

الآية الثامنة: تشابهت الآية الرابعة والأربعون مع الآية الخامسة والأربعون ومع الآية السابعة والأربعون.

الآية التاسعة: تشابهت الآية الثانية والسبعون مع الآية الثالثة والسبعون.

الآية العاشرة: تشابهت الآية مائة وعشرة مع الآية مائة وستة وعشرين.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ١ .

المبحث الأول
تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات السورة الكريمة

الآيـة الأولى: تشابهت الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ مع الآية الثامنة من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ من حيث الاختلاف من حيث الصيغة في الاسمية والفعلية ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ على ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

فاتفقت الآيتان على وصية المؤمنين وحضهم على مكارم الأخلاق والعفو ممن تقدمت منه إساءة أكسبت بغضه فكأنه قد قيل لهم لا يحملنكم ما وقر في صدوركم من بعضكم إياهم على متقدم إساءتهم بصدهم إياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية ومنعكم عن الاعتمار لا يحملنكم ذلك على الانتقام منهم والانتصار لأنفسكم والعفو أقرب للتقوى وقد ملكتم فأصلحوا خوطب المؤمنون بهذا بعد فتح مكة وإعلاء كلمة الله فندبوا إلى العفو عما تقدم فاستوت الآيتان بأمر المؤمنين بمكارم الأخلاق.

ثم اختلف تعليق ما حذروا منه أن يحملهم عليه لحظ ما بقي في نفوسهم فقيل في الآية الأولى: ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ وفي الثانية ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

والاعتداء أشد وأعظم من عدم العدل والسر في اختصاص كل منهما مما ورد فيهما من المنهي عن ارتكابه ومناسبته لموضعه – والله أعلم – أن الآية الأولى ورد فيها الإفصاح بقلة البغضاء الحاملة على الانتصار والانتقام وهي صدهم عن البيت الحرام عام الحديبية وذلك قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ أي: من أجل أن صدوكم أي: منعوكم و﴿أَن﴾ هنا مصدرية في موضع المعقول من أجله فلما وقع الإفصاح بسبب الشنئان ناسب النظم الإفصاح بالعقوبة عليه وهو الاعتداء بالانتقام والمجازاة السببية بالسببية لولا ما ندب الاستجابة إليه من التخلق الإيماني المشروع للمؤمنين تقديمه واختياره فقيل: ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ أي: "لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا أي على الاعتداء، أو لا يكسبنكم ذلك المرتكب الفارط منه الاعتداء، ولما لم يرد في الآية الثانية

إفصاح بجريمة بل بنيت على أمر المؤمنين بالعدل فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ فلما أمروا بالعدل ناسب ذلك وصيتهم وأمرهم ألا يحملهم شيء على ترك العدل الذي أمروا به فقيل ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾[١] ــ ومن هنا ظهر الالتئام، والمناسبة لورود كل من المنهي عن ارتكابه في الآيتين واختصاص كل آية بما يناسبها – والله أعلم.

فصرح لهم بالأمر والعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى بإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين[٢].

الآية الثانية: تشابهت الآية الثالثة من السورة الكريمة مع الآية الرابعة والأربعون من نفس السورة ــ حيث قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ... الآية ﴾[٣] وقال عزوجل في الآية الرابعة والأربعون: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِۚ ... الآية ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف في الكلمات حيث ذكرت ﴿ٱلنَّاسَ ﴾ في الآية «٤٤» وحذفت في الآية «٣».

والسر في ذلك والله أعلم أن الآية الأولى رقم «٣» وهي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ﴾.

فإن اللام في ﴿ٱلْيَوْمَ ﴾ للعهد والمراد به: الزمان الحاضر وما يتصل من الأزمة الماضية والآتية، وقيل: يوم نزولها، وقد نزلت بعد عصر الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد

---

(١) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي جـ١/ صـ١١٩، ١٢٠ ـــــــــ ط/ دار الكتب العلمية.

(٢) راجع: تفسير البيضاوي: جـ٢ صـ١١٧ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣ .

الناقة تندق لثقلها فبركت، وأيا ما كان فهو منصوب على أنه ظرف، لقوله تعالى: ﴿ يَيِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ أي: من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث، أو غيرها، أو من أن يقلبوكم عليه، لما شاهدوا من أن الله عزوجل وفي بوعده حيث أظهره على الدين كله، وهو الأنسب بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ أي: أن يظهر عليكم، ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ أي: وأخلصوا إلى الخشية.....[١].

فقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ الضمير راجع إلى من سبق ذكرهم وهم: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[٢].

فقوله: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات وأما حكام المسلمين فيتناولهم إما بطريق الدلالة دون العبارة، والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معنى بشأنها فيما بين الأنبياء عليهم السلام ومن يقتدي بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين، عملاً وحفظاً، فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها، والمحافظة عليها بأي وجه كان فضلاً عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جراءتهم على ذلك خشية ذي سلطان أو رغبة في الحظوظ الدنيوية، فهو عن كل منهما صريحًا، أي: إذا كان شأنها كما ذكر، فلا تخشوا الناس كائنًا من كان واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها ممن قبلكم من الأنبياء وأتباعهم ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ في الإخلال بحقوق مراعاتها فكيف في التعرض لها بسوء»[٣].

الآية الثالثة: تشابهت الآية السابعة في ختامها مع ختام الآية الثامنة من السورة الكريمة حيث قال تعالى في ختام الآية السابعة: ﴿ ..... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ

---

(١) راجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبوالسعود جـ٣ صـ٦، ٧ ط: دار إحياء التراث العربي ـــــ بيروت.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤ .

(٣) راجع: تفسير أبوالسعود: جـ ٣صـ٤٢ .

ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ثم أعاد فقال في ختام الآية الثامنة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاتفاق.

والسر في ذلك والله أعلم – أن الآية الأولى وقع على النية وهي بذات الصدور والثاني على العمل[١].

قال ابن كثير: أن الأولى نزلت في اليهود وليس بتكرار فقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ تأكيد وتحريض على مواطن التقوى في كل حال ثم أعلمهم أنه يعلم ما يتخالج في الضمائر من الأسرار والخواطر، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أي: سيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا، ولهذا قال بعده: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ أي: لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة التي هي رحمته على عباده، لا ينالوها بأعمالهم بل برحمة منه وفضل[٢].

الآية الرابعة: تشابهت الآية الثالثة عشر مع الآية الحادية والأربعون من نفس السورة الكريمة حيث قال تعالى في الآية الثالثة عشر ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ وقال بعدها في الآية الحادية والأربعون ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث إبدال حرف بحرف.

والسر في ذلك والله أعلم: أن الآية الأولى في أوائل اليهود، والثانية فيمن كانوا في زمن النبي ﷺ أي: حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زمانًا[٣].

---

(١) راجع: أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن) لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمز بن نصر أبوالقاسم برهان الدين الكرماني: جـ١/صـ١٠٠ ـــــــ ط/ دار الفضيلة.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣/ صـ٥٥، صـ٥٦ ط دار الكتب العلمية.

(٣) أسرار التكرار في القرآن للكرماني: جـ١/ صـ١٠٢ .

وكرر قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فهو من متشابه النظم من حيث الاتفاق، لأن الأولى في اليهود والثانية في حق النصارى، والمعنى لم ينالوا منه نصيبًا، وقيل معناه ونسوا نصيبًا وقيل معناه تركوا بعض ما أمروا به[١].

فقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ الآية الأولى: أي: يجددون كل وقت تحريفه، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فإنهم كلما وجدوا شيئًا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم، وأولوه التأويل الباطل بأهوائهم، فهم يحرفون الكلم ومعانيها، ولما كانوا قد تركوا أصلاً ورأسًا فألا يقدرون لصراحة على تحريفه قال معبرًا بالماضي، إعلامًا بحرفهم بالبراءة من ذلك ﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾ أي: نصيبًا نافعًا، معليًا لهم ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: من التوراة على ألسنة أنبيائهم عيسى ومن قبله "عليهم السلام" تركوه ترك الناس للشيء، لقلة مبالاته به بحيث لم يكن لهم رجوع إليه[٢].

وأما قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ الآية الثانية أي: الذي يسمونه عنك على وجهه فيبالغون في تغييره وإمالته، بعد أن يقيسوا المغيبين، المغير والمغير إليه، واللفظيين، فلا يبعدوا به بل يأخذون بالكلم عن حده وطرفه إلى حد آخر قريب منه جدًا ولذلك أثبت الجار فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ أي: يثبتون الإمالة من مكان قريب من ﴿مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: النازلة عن رتبته، فأن يتأولوه على غير تأويله، أو يثبتوا ألفاظًا غير ألفاظه قريبة منها، فلا يبعد منها المعنى جدًا، وهذا أدق مكرًا[٣].

الآية الخامسة: تشابهت الآية الخامسة عشر مع الآية التاسعة عشر من نفس السورة الكريمة حيث قال تعالى في الآية الخامسة عشر: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: جـ٦/ ٥٧، ٥٨ ط: دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: جـ٦/ صـ١٣٩ .

قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ثم كررها فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ..... ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاتفاق (التكرار).

والسر في ذلك والله أعلم: أن الآية الأولى نزلت في اليهود حين كتموا صفة سيدنا محمد ﷺ وآية الرجم من التوراة، والنصارى حين كتموا بشارة سيدنا عيسى بسيدنا محمد ﷺ في الإنجيل وهو قوله ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ثم كرر فقال ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ فكرر ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ أي: شرائعكم فإنكم على ضلال لا يرضاه الله ﴿ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ على انقطاع منهم ودروس مما جاءوا به ... والله أعلم[1].

الآية السادسة:

تشابهت الآية السابعة عشر مع الآية الثامنة عشر من نفس السورة الكريمة حيث قال تعالى في الآية السابعة عشر ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ... ﴾ ثم كرر في الآية الثامنة عشر فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاتفاق (التكرار).

والسر في ذلك والله أعلم:

أن الآية الأولى نزلت في النصارى حين قالوا: ﴿ ....إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ فقال: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ ﴾ أي: ليس فيهما معه شريك ولو كان عيسى إلهًا لاقتضى أن يكون معه شريكا ثم من

---

(١) أسرار التكرار في القرآن للكرماني: جـ١/ صـ١٠٢، وراجع تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المروزي السمعاني عند تفسيره للآية ١٥، ١٩ من سورة المائدة، جـ٢ صـ٢٣، ٢٤/ ط دار الوطن (الرياض ـــــ السعودية) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـــــ ١٩٩٧م.

يذب عن المسيح وأمه ومن في الأرض جميعًا إن أراد إهلاكهم فإنهم كلهم مخلوقون له سبحانه وإن قدرته شاملة عليهم وعلى كل ما يريد بهم.

والآية الثانية نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ والأب لا يملك ابنه ولا يهلكه ولا يعذبه وأنتم مصيركم إليه سبحانه فيعذب من يشاء منكم ويغفر لمن يشاء[1].

الآية السابعة:

تشابهت الآية الثالثة والثلاثون مع الآية الحادية والأربعون حيث قال تعالى في الآية الثالثة والثلاثون: ﴿....ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا....﴾ وأما الآية الحادية والأربعون قال فيها: ﴿....لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ....﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

فقد قدم قوله ﴿خِزْيٌ﴾ وآخر قوله ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ في الآية الأولى رقم «٣٣» من سورة المائدة، وقدم قوله ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وأخر قوله: ﴿خِزْيٌ﴾ في الآية رقم «٤١» من السورة الكريمة.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ فإن ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما فصل من الأحكام والأجزية وهو مبتدأ، وقوله: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية، والجملة في محل الرفع على أنها خبر لذلك، وقيل خزي خبر لذلك، ولهم متعلق بمحذوف وقع حالاً من خزي؛ لأنه في الأصل صفة له، فلما قدم انتصب حالاً، و﴿فِي الدُّنْيَا﴾ إما صفة لخزي أو متعلق، والخزي: الذل والفضيحة، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

(١) راجع: أسرار التكرار في القرآن للكرماني: جـ١ صـ١٠٣.

عَظِيمٌ ﴾ غير هذا لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم ﴿ وَلَهُمْ ﴾ خبر مقدم و﴿ عَذَابٌ ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿ فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالاً من ﴿ عَذَابٌ ﴾ لأنه في الأصل صفة له، فلما قدم انتصب حالاً، أي: كائنًا في الآخرة[1].

أما الآية الثانية رقم «٤١» من السورة الكريمة وهي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۖ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وكذلك الآية ١١٤ من سورة البقرة وهي قوله: ﴿ ...أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

فاسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ من معنى البعد؛ للإيذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۖ ﴾ أي: من رجس الكفر وخبث الضلالة، لانهماكهم فيها وإصرارهم عليها وإعراضهم عن صرف اختيارهم إلى تحصيل الهداية بالكلمة كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر أولاً، وشرح فنون ضلالاتهم آخرًا، والجملة استئناف مبين لكون إرادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم، وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء، وقوله: ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ فخزي المنافقين فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين، وأما خزي اليهود فالذل والجزية، والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة، وتنكير ﴿ خِزْيٌ ﴾ للتفخيم وهو مبتدأ، و﴿ لَهُمْ ﴾ خبره، و﴿ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار، و﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هو الخلود في النار، وضمير ﴿ لَهُمْ ﴾ في الجملتين لليهود والمنافقين جميعًا، لا لليهود خاصة، وتكرير ﴿ لَهُمْ ﴾ مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد.

---

(١) راجع: تفسير أبوالسعود جـ ٣صـ٣٢.

والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفضيل أفعالهم وأحوالهم الموجبة للعقاب، كأنه قيل: فما لهم من العقوبة؟ فقيل: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا .....﴾ الآية[١].

وتقديم الظرف في قوله: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وقوله ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ للتشويق إلى ما يذكر بعده من الخزي، والعذاب.

فتأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس إليه، فيتمكن فيها عند وروده أفضل تمكين[٢].

الآية الثامنة:

تشابهت الآيات الرابعة والأربعون، والخامسة والأربعون، والسابعة والأربعون في ختامها من نفس السورة الكريمة حيث قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ كررها ثلاث مرات وختم الأولى وهي الآية الرابعة والأربعون بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والثانية بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، والثالثة بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فتشابه النظم من حيث الاتفاق (التكرار).

والسر في ذلك والله أعلم:

أن الآية الأولى نزلت في حكام المسلمين، والثانية في حكام اليهود، والثالثة في حكام النصارى.

وقيل: الكافر والفاسق والظالم كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صور التكرار.

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله إنكارًا له فهو كافر ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده حقًا وحكم بضده فهو ظالم ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق.

---

(١) راجع: تفسير أبو السعود: جـ ٣صـ ٣٨ .

(٢) راجع: تفسير أبو السعود عند تفسير الآية ١١٤ من سورة البقرة جـ١/ صـ١٤٩ .

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله[١].

الآية التاسعة:

تشابهت الآية الثانية والسبعون مع الآية الثالثة والسبعون من نفس السورة الكريمة حيث قال تعالى في الآية الأولى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وكرر في الآية الثانية بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ..... ﴾ .

فمتشابه النظم هنا من حيث الاتفاق (التكرار).

والسر في ذلك والله أعلم:

أن النصارى اختلفت أقوالهم فقالت اليعقوبيين بالاتحاد بأن الله تعالى ربما يتجلى في بعض الأزمان في شخص فتجلى يومئذ في شخص عيسى فظهرت منه المعجزات.

وقالت الملكية بالتثليث بأن الله اسم يجمع أبا وابنا وروح القدس اختلفت بالأقانيم والذات واحدة فأخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم كلهم كفار[٢].

الآية العاشرة:

تشابهت الآية مائة وعشرة مع الآية مائة وستة عشر من نفس السورة الكريمة حيث قال في الآية الأولى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ..... ﴾ وقال في الثانية: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ ..... ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الفصل والوصل ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ بالفصل بدون واو، ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ بالوصل بالواو.

---

(١) راجع: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني جـ١ صـ١٠٤ .

(٢) راجع: أسرار التكرار للكرماني: جـ١/ صـ١٠٤، ونظم الدرر للبقاعي: جـ ٦ صـ٢٤٧ ط: دار الفكر.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن الأولى شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل، إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاحتمال ليكون ذلك كالأنموذج لتفاصيل أحوال الباقين، وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان، تفصيلا من بين شئون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم، ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل، لما أنه شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب، الذين نعت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم، فتفصيله أعظم عليهم، وأجلب لحسرتهم، وندامتهم، وأقتت في أعضادهم وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم[١].

وأما الآية الثانية بالواو وهي قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ معطوف على ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي ﷺ أو بمضمر مستقل معطوف على ذلك، أي: اذكر للناس وقت قول الله عزوجل له عليه السلام في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم بإقراره عليه السلام على رءوس الأشهاد بالعبودية، وأمره بعبادته عزوجل، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع[٢].

فالآية الأولى «١١٠» لم تعطف لأن ﴿إِذْ﴾ ظرف وهو بدل اشتمال من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ بدل اشتمال فإن يوم الجمع مشتمل على زمن هذا الخطاب لعيسى ولذلك لم تعطف هذه الجملة على التي قبلها.

والمقصود من ذكر ما يقال لعيسى يومئذ هو تقريع اليهود والنصارى الذين ضلوا في شأن عيسى بين طرفي افراط بغض وإفراط حب»[٣].

---

(١) راجع: تفسير أبو السعود: جـ ٣ صـ ٩٤ .

(٢) راجع: تفسير أبو السعود: جـ ٣ صـ ١٠٠ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ ٧ صـ ١٠٠ ط الدار التونسية.

المبحث الثاني
تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات سور أخرى

واحتوى هذا المبحث على ست وعشرين آية على النحو الآتي:

الآية الأولى: تشابهت الآية رقم [١] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٣٠] من سورة الحج.

الآية الثانية: تشابهت الآية رقم [٢] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٢٩] من سورة الفتح.

الآية الثالثة: تشابهت الآية رقم [٣] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٧٣] من سورة البقرة.

الآية الرابعة: تشابهت الآية رقم [٦] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٨١] من سورة النحل.

الآية الخامسة: تشابهت الآية رقم [٨] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٣٥] من سورة النساء.

الآية السادسة: تشابهت الآية رقم [٩] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٢٩] من سورة الفتح.

الآية السابعة: تشابهت الآية رقم [١٧] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١١] من سورة الفتح.

الآية الثامنة: تشابهت الآية رقم [١٩] من السورة الكريمة مع الآية الثامنة والثمانون بعد المائة من سورة الأعراف ومع الآية رقم [٢] من سورة هود.

الآية التاسعة: تشابهت الآية رقم [٢٠] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٦] من سورة إبراهيم.

الآية العاشرة: تشابهت الآية رقم [٣٢] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٠١] من سورة الأعراف ومع الآية رقم [٩] من سورة إبراهيم.

الآية الحادية عشر: تشابهت الآية رقم [٣٦] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٨] من سورة الرعد.

الآية الثانية عشر: تشابهت الآية رقم [٤٠] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٤] من سورة الفتح.

الآية الثالثة عشر: تشابهت الآية رقم [٤٦] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٢٧] من سورة الحديد.

الآية الرابعة عشر: تشابهت الآية رقم [٦٩] من سورة المائدة مع الآية رقم [٦٢] من سورة البقرة ومع الآية رقم [١٧] من سورة الحج.

الآية الخامسة عشر: تشابهت الآية رقم [٧٢] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٤٨] من سورة النساء ومع الآية رقم [٣١] من سورة الحج.

الآية السادسة عشر: تشابهت الآية رقم [٧٥] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٤٦] من سورة الأنعام ومع الآية رقم [٦٥|] من سورة الأنعام.

الآية السابعة عشر: تشابهت الآية رقم [٨٥] من سورة المائدة مع الآية رقم [٣٤] من سورة الزمر.

الآية الثامنة عشر: تشابهت الآية رقم [٨٩] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٢٤٢] من سورة البقرة ومع الآية رقم [١٠٣] من سورة آل عمران ومع الآية رقم [٥٩] من سورة النور.

الآية التاسعة عشر: تشابهت الآية رقم [٧٢] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٢] من سورة التغابن.

الآية العشرون: تشابهت الآية رقم [١٠٤] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٧٠] من سورة البقرة.

الآية الحادية والعشرون: تشابهت الآية رقم [١٠٦] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٤١] من سورة البقرة.

الآية الثانية والعشرون: تشابهت الآية رقم [١١٠] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٤٩] من سورة آل عمران.

الآية الثالثة والعشرون: تشابهت الآية رقم [١١١] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٥٢] من سورة آل عمران.

الآية الرابعة والعشرون: تشابهت الآية رقم [١١٦] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٥٥] من سورة آل عمران.

الآية الخامسة والعشرون: تشابهت الآية رقم [١١٨] من السورة الكريمة مع الآية رقم [٥] من سورة الممتحنة.

الآية السادسة والعشرون: تشابهت الآية رقم [١١٩] من السورة الكريمة مع الآية رقم [١٠٠] من سورة التوبة.

المبحث الثاني
تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة مع آيات سور أخرى

الآية الأولى:

لقد تشابهت الآية رقم «١» وهي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ....﴾ مع الآية (٣٠) من سورة الحج وهي قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ....﴾.

حيث خصت آية المائدة بزيادة لفظ ﴿بَهِيمَةُ﴾ ولم يرد ذلك في آية الحج مع اجتماعهما في التعريف بجلية هذا الضرب من الحيوان البهيمي مفصحا فيهما بتقرير حكم التحليل بالماضي وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن المقصود في الآيتين مختلف وبيان ذلك:

أن اسم الأنعام إنما يقع على ما ذكر في آية الأنعام من الأزواج الثمانية حين تفسرت مفصلة فقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ وهي أصناف أربعة الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، تفصلت بحسب التذكير والتأنيث إلى ثمانية، وإذا وضح أن الأنعام هي الأزواج الثمانية فمن المعلوم أن غيرها من الوحشي الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام في عمله.

قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ولما كانت آية سورة الحج مناطة بما أمر به الخالق في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ والأمر تعظيم لتلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ وصل بها ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه فقال: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ ولم يكن

ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ لأن المراد بهيمة الأنعام الوحشي.

قال القرطبي: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وحشيها ووجه وقوعها في آية المائدة أن آية المائدة من أخر ما نزل وقد ضمنت متممات من الأحكام كآية الوضوء والتيمم وتفاصيل الصيد واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة وفيها ورد قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فناسب هذا ذكر حلية بهيمة الأنعام إلحاقًا لها بالأنعام إذ لم يذكره الله في غيرها على ما ورد في تحرير ذلك وبيان العوارض التي قد تحرم لأجلها وذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ ثم أتبع بقوله ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ لأن هذه العوارض تكثر في الوحشي لمخالفة حاله في التذكية وما يحل به الانسية من الأنعام ثم أتبع ذكر ما يعرض مما ذكر مما وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ثم أشار قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ إلى ما أفصح به قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فناسب ذكر ﴿بَهِيمَةُ﴾ هنا وسبحان من كان هذا كلامه[1].

الآية الثانية: لقد تشابهت الآية رقم «٢» من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا .....﴾ مع الآية رقم «٢٩» من سورة الفتح وهي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا .....الآية﴾ ومع الآية رقم «٨» من سورة الحشر وهي قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا .....الآية﴾، فمتشابه النظم هنا من حيث

(١) راجع ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١/ ١١٧، ١١٨ .

الاختلاف من حيث الألفاظ، وسر اختصاص سورة المائدة بما ورد فيها من إضافة اسم الرب تعالى إليهم بخلاف السورتين الكريمتين والله أعلم، أن آية المائدة مبنية على تأنيس وتقريب واستلطاف وقد أحرز قوله ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هذه المعاني الثلاثة إذ من التأنيس أيضًا افتتاح خطاب من قصد بها بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مع أنهم نهوا من عدة منهيات، والنهي مما يثير الخوف عن قصد بالنهي، ثم يحكمه ويقويه ما وصف به آمين البيت الحرام من ابتغاء الفضل والرضوان إلى ما تعضيده إضافة التخصيص في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ إذ لا يحصل ذلك من أن لو قيل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عوض قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وإذا به من خص بتقريب ليست كإذابة من ليس كذلك، والمعصية قد تكون واحدة ثم تعظم بإيقاعها على صفة ما، وتأمل ما ورد في الزنا بحليلة الجار والزنا كله كبيرة ولكن وقوعه بحليلة الجار زيادة وذلك لحرمته، وكذلك ما عظم الشرع من الإلحاد في البيت الحرام والإلحاد كله كفر ولكن في وقوعه في البيت الحرام زيادة، كما أن هذه الإضافة في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ مشعرة إذا اقترن بها بعض القرائن بالتلطف والتقريب وتأنيس من عني بها وتخويف من انتهك حرمة من جرت الكناية عنه بها تخصيصًا وتأنيسًا فلهذا حض هذا الموضوع بها وقدم أيضًا تأنيسًا من خوطب بالنهي إذا هم امتثلوا فأنسوا من شدة الخوف الحاصل من مجموع ما قصد في هذه الآية من التأنيس والتخويف والاستلطاف فخصت سورة المائدة بما ورد فيها لذلك والله أعلم.

أما آية الفتح فلم يجر فيها تخويف مرتكب ولا بنت على ذلك ولا داعية إلى ما يستدعى التأنيس كما في آية المائدة وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدرًا وأحلهم خطرًا وهم أهل المزية والاختصاص فلم تبن الآية إلا على مدحهم وبيان مزيتهم التي لا يدركها غيرهم ولم ينجر فيها تخويفًا يدعوا إلى تأنيس من خوطب بها كما في آية المائدة.

بل وردت هذه مورد البشارة وتعريف حال الأنعام، وعلى ذلك وردت آية الحشر من الثناء والمدحة ولم يتخللها نهي ولا تخويف ولا ورود تفضيل بذكر مخالف تلك الأحوال فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وبذلك يكون وضح السر في اختصاص كل سورة بما ورد فيها والله أعلم[1].

الآية الثالثة: تشابهت الآية رقم «٣» وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ.....﴾ مع الآية رقم «١٧٣» من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

حيث جاء في سورة المائدة قوله: ﴿بِهِ﴾ مؤخرة عن قوله: ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ وفي سورة البقرة مقدمة على قوله: ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن موضع سورة البقرة وهو تقديم ﴿بِهِ﴾ على ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ، لأن الباء التي يتعدى بها الفعل في هذا المكان من جملة الباءات التي تجيء كحرف من نفس الفعل، فتصير الباء كالهمزة المزيدة في بنية الفعل، فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم، وما يتعدى إليه الفعل باللام لا تتنزل لامه منزلة الحرف من نفس الفعل فصار قوله: ﴿أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ بمنزلة ذبح لغير الله مسمى عليه اسم بعض الآلهة.

فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية عليه، ولما كان الإهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا إذا كان لغير الله، كان ما عدا الأصل بالتقديم المستنكر أحق وأولى.

---

(١) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١/ ١١٨، ١١٩.

فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه أتم وهو بالتقديم أحق[١] بخلاف آية المائدة والله أعلم.

الآية الرابعة:

تشابهت الآية «٦» من سورة المائدة وهي قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مع قوله تعالى في سورة النحل من الآية «٨١» وهي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

فورد في الآيتين إتمام نعمته سبحانه على عباده بعبارة متحدة ثم اختلف الترجي فيه سبحانه جزاء على ذلك، فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ من حيث اختيار الصيغة.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة لصلاتهم وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك وإنعام عليهم برخصة التيمم إذا عدموا الماء وكل هذا مستوجب للشكر لله سبحانه فقيل في ختام هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وأما آية النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات من آخرها، وغالب حالها أنها خطاب لكفار قريش وما كان مثلهم ألا ترى افتتاحها بقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وإنما هذا خطاب للمرتابين في الساعة تكذيبًا وكفرًا ثم قال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقرئ بالتاء فأوضح أن الخطاب للمرتابين وقوله بعد ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٣] إلى ما بعد ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٤] ثم قال: ﴿قَدْ مَكَرَ

---

(١) راجع: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي جـ١/ صـ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥ بتصرف.

(٢) سورة النحل: الآية ١٧ .

(٣) سورة النحل: الآية ٢٠ .

(٤) سورة النحل: الآية ٢٤ .

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[١] وقال: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾[٢] ثم قال: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾[٣] ثم قال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾[٤] ثم قال بعد آي: «فذكر بما آمن به سبحانه فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ....الآية ﴾[٥] وعلى هذا استمرت آية سورة النحل وقد تخللها من تذكيرهم بأنعام الله عليهم كثيرًا إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا ﴾[٦] وكل هذا تذكير بعجائبه من إنعامه تعالى لا يمكن نسبة شيء منها لغيره ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[٧] أي تدخلون في دين الإسلام الذي لا يقبل في الآخرة سواه فهذا أوضح تناسب والسورة مكية.

أما آية المائدة فلم يقع قبلها لغير المؤمنين ولا ما قصد به سواهم ولم يخاطبوا باسم الإيمان إلا وإسلامهم حاصل ثم علموا طهارتهم بعد بيان ما أحل لهم وحرم عليهم ثم أعقب تعليمهم برخصة التيمم عند تعذر الماء فناسب رجاء إنعامه عليهم بهدايتهم للشكر فقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٨].

وبالتالي يكون قد وضح سر اختصاص كل آية مما ورد فيها والله أعلم.

---

(١) سورة النحل: الآية ٢٦ .
(٢) سورة النحل: الآية ٣٧ .
(٣) سورة النحل: الآية ٣٨ .
(٤) سورة النحل: الآية ٦٢ .
(٥) سورة النحل: الآية ٧٣ .
(٦) سورة النحل: الآية ٨١ .
(٧) سورة النحل: الآية ٨١ .
(٨) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١/ ١٢٠، ١٢١ بتصرف.

الآية الخامسة:

تشابهت الآية رقم ٨ من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى من الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ ..... ﴾ مع الآية رقم ١٣٥ من سورة النساء وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

والسر في تأخير ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ عن قوله ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ في سورة المائدة وتقديمه عليه في سورة النساء والله أعلم: أن الآية في سورة المائدة فحواها يدل على أنها للولاة، فقال: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ لا لنفع، ويكون ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ متعلقًا بـ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ أي: كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به في حال كونكم ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ أي: وسائط بين الخالق والخلق أو بين النبي ﷺ وأمته كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

فالقائم بتنفيذ أحكام الله تعالى بين خلقه إذا وفى ما عليه من حقه، فهو شهيد على من وليه، والرسول ﷺ شهيد عليه بما نقله إليه، والدليل على أن الخطاب لولاة الأحكام قوله بعده: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[2].

وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين ممن حصلت لهم بغضة وعداوة، أي: اعدلوا على الولي والعدو عدلاً واحدًا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨.

وقيل في هذه الآية: إنها أيضًا في الشهادة في الحقوق، وقيل في الشهادة لأمر الله تعالى بأنه حق.

وقيل: معناه قوموا في كل ما يلزمكم القيام فيه من الأمر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر وتجنبه.

أما آية سورة النساء فالشهادة فيها أمر الله عزوجل من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها، ويشهد لله تعالى على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه فقال: قوموا بالقسط أي بالعدل في حال شهادتكم لله على كل ظالم حتى يؤخذ الحق منه، فقدم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ لأنه من تمام ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ إذ فعله يتعدى إلى مفعوله بالياء، وأما ﴿شُهَدَآءَ﴾ فإنها إذا كانت حالاً من الضمير في ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ فإن حقها أن تجيء بعد تمام ﴿قَوَّٰمِينَ﴾، وكذلك إن كانت خبرًا ثانيًا، إن كانت صفة لـ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ فإن حقها أن تجيء بعدها.

وأما قوله ﴿لِلَّهِ﴾ بعد ﴿شُهَدَآءَ﴾ فمتعلقة بالشهادة، كأنه قال: كونوا شهداء لله لا للهوى والميل إلى ذوي القربى.

والدليل على ذلك أنه قال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وشهادة الإنسان على نفسه أن يقر بالحق لخصمه أي افعلوا ذلك لله وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم.

وقوله عزوجل: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ أي إن يكن من على الحق على أحد هذين الوصفين فانتهوا في أمره إلى أمر ما أمر الله تعالى به، ولا يحملنكم الإشفاق من فقره على محاباته ولا يدعونكم غنى الغني إلى مداراته، فإن الله تعالى أولى بالنظر لهما، ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ أي كراهة أن تعدلوا ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾ ألسنتكم بالشهادة ولم تفصحوا بها ولم تقوموا بما يجب عليكم فيها أو تتركوا ما يلزمكم منها، فإن الله عليم بعملكم وهو مجاز لكم على فعلكم.

وقيل تلووا بمعنى تمطلوا، من لويت الغريم إذا دفعته كأنه قال: إن تدفعوا الشهادة ولم تؤدوها وقت الحاجة إليها.

ومن قرأ ﴿ وَإِن تَلْوُۥا ﴾ بضم اللام وواو واحدة فالمعنى: إن تلوا أمر النـــاس من الولاية، أو تتركوه، ومن هنا اتضح سر اختصاص كل آية بما ورد فيها والله أعلم[١].

الآية السادسة:

تشابهت الآية رقم «٩» من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ مع الآية «٢٩» من سورة الفتح وهي قوله تعـــالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فقيل هاهنا ﴿ مِنْهُم ﴾ ولم يقل في آية المائدة (منكم) على مقتضـــى الخطاب ولا (منهم) على الالتفات، ورفع قوله ﴿ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ في أية المائدة ونصب في آية الفتح وقوله تعالى في آية المائدة ﴿ لَهُم ﴾ وفي آيـــة الفتح ﴿ مِنْهُم ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب مـــن حيـــث الـــذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن قوله تعالى في آية المائدة ﴿ لَهُم ﴾ لأنه لمـــا قـــال ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ علم أنهم وعدوا بما هو حق لهـــم فعـــدل عـــن ذكـــر المفعول إلى جملة تضمنت معناه، والجملة ابتداء وخبر وهي فـــي موضـــع مفرد منصوب، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا مغفرة.

وأما قوله تعالى في آية الفتح ﴿ مِنْهُم ﴾ فهي متعلقة بـــــ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ومن تمامها، ولم يكن هناك ما ترتفع ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ به، فتعدى إليها الفعل الذي هو ﴿ وَعَدَ ﴾ فجري على الأصل في نصب المفعول به.

---

(١) راجع: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي جـــ١/ صـــ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢ عند الآية ١٣٥ من سورة النساء، صـــ٤٢٣، صـــ٤٢٤ بتصرف.

فإن قيل: كيف يحتمل أن يبغض، والقوم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾[١] مع سائر ما وصفهم الله تعالى به، وأثنى عليهم بذكره، كلهم وعدوا مغفرة وأجرًا عظيما؟

ويجاب على ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يقال: إن من في هذا المكان ليست للتبعيض؛ وإنما هي لتبيين الجنس، كأنه قال: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هؤلاء، كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[٢] أي: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان.

ثانيهما: أن يكون التقييد للتحذير، لأنهم وإن علم الله تعالى منهم الثبات على ما هم عليه من العمل الصالح فإنه لا يخليهم من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، على معنى: دوموا على ما أنتم عليه فإن من داوم منكم عليه فقد وعده الله تعالى مغفرة وأجرًا عظيمًا.

وخصت آية المائدة بأن جعل مفعولها الثاني جملة، وآية الفتح مفعولها مفردًا وذلك والله أعلم لأن آية المائدة خطاب لقوم حثهم على توخي العدل فيما يحكمون به وهو أعم من حث الصحابة الذين ذكرهم في آخر سورة الفتح، وأثنى عليهم بالشدة على الكفار، والصحبة للمؤمنين وملازمة الركوع والسجود وابتغاء رضوان الله، وأن مثلهم كزرع أخرج شطأه إلى آخر الآية، فخص هؤلاء بصريح المغفرة وذكر أنه وعدهم ذلك.

وقال في آية المائدة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فكان اختبارًا عن وعده إياهم فقط، ثم أتى بخبر ثان فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ على معنى: وإن وافوا بذلك ولم يحبطون بالسيئات فجوز منهم هذا، ولم يعلق المغفرة بوعد فيعد به إليها.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩ .

(٢) سورة الحج: الآية ٣٠ .

وفي آية الفتح حقق المغفرة لهم، وعدى الفعل إليها وكان كالحكم بأنهم يوافون الآخرة بأعمالهم الصالحة، وقد وعدهم الله تعالى عنها المغفرة والأجر العظيم[١].

ومن هنا اتضح سر اختصاص كل سورة بما ورد فيها والله أعلم.

الآية السابعة:

تشابهت الآية رقم «١٧» من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مع الآية رقم «١١» من سورة الفتح وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

وسر زيادة ﴿لَكُمْ﴾ في سورة الفتح وحذف ذلك في سورة المائدة والله أعلم.

أن في آية المائدة عموم يستدعي الإطلاق وعدم التقييد بالمخاطبين وفي سورة الفتح خصوص يستدعي التخصيص بآية الخطاب المواجهين به وذلك لأن الأخبار في سورة المائدة إنما هو النصارى قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٢] وهذا حكاية قولهم ثم أعلم تعالى بقدرته وقهره للكل فقال: قل يا محمد من يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا أي: من يدفع مراده في خلقه إن أراد هلاكهم ثم ذكر سبحانه خلقه المقهورين من سكان الأرض فبدأ بالمسيح وأمه عليهما السلام ثم قال: ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فعم الكل فلم يكن ليناسب هذا العموم أداة خطاب تخصيص.

---

(١) راجع: درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي جـ١/ صـ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤ بتصرف.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٧ .

أما آية الفتح فقبلها إخباره سبحانه عن المتخلفين عن غزوة الحديبية، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[١] ثم أعلم تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين أن قول المخلفين قول بألسنتهم غير مطابق لما في قلوبهم فقال تعالى: قل يا محمد من يملك لكم معشر المخلفين من الله شيئًا أي من يدفع عنك الضر إن أراده بكم أو يوصل إليكم النفع إن منعه عنكم.

فالأخبار إنما هو عنهم وتقدير النفع والضر مرفوعًا أو لاحقًا خاص لهم لم يرد بذلك غيرهم بورود خطاب المواجهة فقال: ﴿لَكُم﴾ ولم يكن بد من ذلك ليعلم أن الأخبار عنهم والخطاب بما يعد لهم[٢] فجاءت كل آية بما يناسبها والله أعلم.

الآية الثامنة:

تشابهت الآية رقم ١٩ من سورة المائدة وهي قوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ مع الآية رقم ١٨٨ من سورة الأعراف، والآية رقم (٢) من سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، والآية رقم (٢) من سورة هود وهي قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

والسر في تقديم بشير على نذير في آية المائدة، وتأخيره في الأعراف وهود والله أعلم:

---

(١) سورة الفتح: الآية ١١ .

(٢) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١ صـ١٢٥، ١٢٦ بتصرف.

أن آية المائدة وهي قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ..... ﴾ فقد قدم فيها البشير على النذير فقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ ﴾ تعليل لمجيء الرسل بالبيان على حذف المضاف، أي: كراهة أن تقولوا: معتدين عن تفريطكم في مراعاة أحكام الدين ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها، وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء، وتنكير بشير ونذير للتقليل، وقوله: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾ متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين أنه معلل به، وتنوين بشير ونذير للتفخيم؛ أي: تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير ونذير[١].

وأما آية الأعراف (١٨٨) وهي قوله: ﴿إِنۡ أَنَآ۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ فقدم فيها النذير على البشير وذلك في قوله: ﴿إِنۡ أَنَآ۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ أي: ما أنا إلا عبدالله مرسل للإنذار والبشارة شأن حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية، لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها، وأما تعيين وقتها فليس ما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه، وذلك لأن إبهامه أدعى إلى الانتهاء عن المعاصي، وتقديم النذير على البشير لأن المقام هنا مقام الإنذار.

وقوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ إما متعلق بهما جميعًا؛ لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة وإما بالبشير فقط، وما يتعلق بالنذير محذوف؟ أي: نذير للكافرين، أي: الباقين على الكفر، وبشير لقوم يؤمنون، أي في أي وقت كان؛ ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان، وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان[٢].

---

(١) راجع: تفسير أبوالسعود: جـ ٣ صـ٢١، ٢٢ .
(٢) تفسير أبو السعود: جـ ٣ صـ٣٠٢ .

أما آية رقم «٢» من سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ فقدم نذير على بشير، فقوله: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ﴾ أي: من جهة الله تعالى ﴿نَذِيرٌ﴾ أنذركم عذابه أن لم تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى ﴿وَبَشِيرٌ﴾ أبشركم بثوابه إن آمنتم به.

وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الإنذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الإثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب أطراف الكلام، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ كلامًا منقطعًا عما قبله واردًا على لسانه ﷺ إغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه قال: اتركوا عبادة غير الله تركًا مستمرًا ﴿إِنَّنِي لَكُمْ﴾ من جهة الله ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أنذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشر أبشركم بثوابه على تقدير تركك له وتوحيدكم[1].

الآية التاسعة:

تشابهت الآية رقم ٢٠ من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مع الآية رقم (٦) من سورة إبراهيم وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

فقد افتتح قول موسى لقومه في سورة المائدة بندائهم ولم يقع نداؤهم في سورة إبراهيم، فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم:

---

(١) تفسير أبو السعود: جـ ٤ صـ١٨٣.

أنه لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب من الآلاء والنعم الجسام من جعل الأنبياء منهم وجعلهم ملوكًا وإعطائهم ما لم يعط غيرهم كان ذلك تعريضًا باعتنائه سبحانه لهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقدمه من أمم الأنبياء قبلهم فناسب ذلك نداء موسى عليه السلام بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ بالإضافة إلى ضميره إنباء بالقرب والمزية وناسب هذا النداء المنبئ بالاعتناء ما تقدم من تخصيصهم بما عقب به النداء من التشريف بما منحهم من الآلاء والنعم الجسام.

ولما قصد في آية سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون وما كان يسومهم به من ذبح ذكور أبنائهم واستحياء نسائهم ولم يذكر هنا شيء مما في آية المائدة فقط التذكير بمجرد الإنجاء فناسب ذلك الاقتصار على خطابهم دون النداء مراعاة للمناسبة والله أعلم[1].

الآية العاشرة:

تشابهت الآية رقم (٣٢) من السورة الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿.....وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مع الآية رقم (١٠١) من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ .....﴾ والآية (٩) من سورة إبراهيم وهي قوله: ﴿.....جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ .....﴾ حيث عبر في آية سورة المائدة ﴿رُسُلُنَا﴾ وفي آيتي الأعراف وإبراهيم ﴿رُسُلُهُم﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة ورد التعبير فيها بقوله ﴿رُسُلُنَا﴾ في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ وهي جملة مستقرة غير معطوفة على ﴿كَتَبْنَا﴾ أكدت بالتوكيد

---

(١) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١/ ١٢٨ بتصرف.

القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها ولم يقل سبحانه (ولقد أرسلنا إليهم) للتصريح بوصول الرسالة إليهم فإنه أدل على تناهيهم في العتو والمكابرة، أي: وبالله لقد جاءتهم رسلنا[١] أي[٢] والحال أنهم قد جاءتهم رسلنا، أي: على ما لهم من العظمة بإضافتهم إلينا، واختيارنا لهم؛ لأن يأتوا منًا فهم لذلك أنصح الناس وأبعدهم عن الغرض، وأجلهم وأجمعهم للكمالات وأرفعهم عن النقائص، لأن كل رسول دال على مرسله ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي الآيات الواضحة للعقل أنها من عندنا؛ آمرة لهم بكل خير، زاجرة عن كل ضر، لم تقتصر في التغليظ في ذلك على الكتاب، بل وأرسلنا الرسل إليهم متواترة.

ولما كان وقوع الإسراف وهو الإبعاد عن حد الاعتدال في الأمر منهم بعد ذلك بعيدًا، عبر بأداة التراخي، مؤكدًا بأنواع التأكيد، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم ﴾ أي: بني إسرائيل، وبين شدة عتوهم بإصرارهم، خلفًا بعد سلف، فلم يثبت الجار، فقال ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: البيان العظيم، والزجر البليغ بالرسل والكتاب، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: التي هي مع كونها فراشًا لهم، ويقبح على الإنسان أن يفسد فراشه – شاغلة لما فيها من عظائم الكدورات، وترادف القاذورات – عن الكفاف – فضلاً عن الإسراف، ﴿لَمُسْرِفُونَ ﴾ أي: عريقون في الإسراف، بالقتل وغيره[٣].

أما آية سورة الأعراف (١٠١) ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ .....﴾ «فهي جملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم أي: والله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات

(١) تفسير أبو السعود: جـ٣ صـ٣٠ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ١٢٨ .
(٣) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ١٢٨ .

البينة، المتكثرة المتواردة عليهم، الواضحة الجلالة على صحة رسالته، الموجة للإيمان حتمًا»[١].

وآية سورة إبراهيم (٩) ﴿.....جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ استئناف لبيان نبئهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة، والبينات الباهرة فيبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور[٢].

الآية الحادية عشر:

تشابهت الآية (٣٦) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مع الآية (١٨) من سورة الرعد وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ .....﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ من حيث الاختلاف في صيغ الأفعال.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة معللة لما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

والمعنى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي بترك ما في الآية السابقة، ورتب الجزاء على الماضي، زيادة في التحذير، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وما أفهمه الكلام من استغراق الظرف والمظروف فقال: ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مما كان يطلب منهم شيء يسير جدًا منه، وهو الإذعان بتصديق الجنان، وانفاق الفضل من المال، وزاد الأمر هولاً بقوله: ﴿وَمِثْلَهُۥ﴾، ولما كان لدفع الفداء جملة ما ليس له مغرمًا، قال: ﴿مَعَهُۥ﴾، ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى

---

(١) تفسير أبو السعود: جـ٣ صـ٢٥٥ .
(٢) تفسير أبو السعود: جـ٥ صـ٣٦ .
(٣) سورة المائدة: الآية ٣٥ .

عظمة يوم التغابن، وإن كان عند الكفار، الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا، أعظم ما يكون والإفهام بأن المراد بالمثل الجنس ليشمل ما عساه أن يفرض من الأمثال أي والضمير على هذين الشيئين، على كثرتهما وعظمتهما مفردًا؛ فقال: معبرًا بالمضارع الدال على تجديد الرغبة في المسألة على سبيل الاستمرار؛ ولأن السياق للمتصفين بالكفر، والمحاربة لله، ولرسوله، والسعي في الأرض بالفساد، ولذلك صرح بنفي القبول على الهيئة الأتية: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾، أي: يجددوا الاقتداء في كل لحظة، أي بما ذكر، ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ولما كان المراد تهويل الأمر برده، وكان ذلك يحصل بغير تعيين المراد؛ قال: ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾، بالبناء للمفعول، أي: على حالة من الحالات، وعلى يد من كان؛ لأن المدفوع إليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق، ولما كان من النفوس ما هو سافل لا يمكنه الرد، وكان الرد لأجل إمضاء المعد من العذاب، قال سبحانه مصرحًا بالمقصود ﴿وَلَهُمْ﴾ أي بعد ذلك ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: بالغ الإيجاع بما أوجعوا أولياء الله، بسترهم لما أظهروا من شموس البيان، وانتهكوا من حرمات الملك الديان[1]. .....

وأما آية سورة الرعد (١٨) الذي ورد فيها: ﴿.....وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ .....﴾ لما ذكر الله تعالى ما للطائعين أتبعه جزاء العاصين فقال مبتدئًا ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ أي يرغبوا في إيجاد الإجابة ﴿لَهُۥ﴾ وأخبر عن هذا الابتداء قوله معلمًا بأن استعجالهم بالعذاب باستعجالهم بالسيئة قبل الحسنة جزاءه منهم ناشئة عن جهل صرف نزول عند رؤيتهم عذابه سبحانه فيبلِّغون حينئذ بالاقتداء غاية الذل فلا يقبل منهم: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾ أي ﴿فِى﴾ ملكهم وتحت قدرتهم ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأكد بقوله: ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ﴾ وأوضح بقوله ﴿مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ أي جعلوا فكاك أنفسهم بغاية جهدهم وأكده لادعاء الكفرة أنهم لا يذلون لشيء

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ١٣٢، ١٣٣ .

ولا يوهن قواهم شيء، والاقتداء: جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر على جهة الاتقاء به، فكأنه قيل: ما الذي دهاهم حتى كان هذا حالهم؟ فقيل دلالة على أنه لا يقبل منهم الفداء ولو عظيم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: البعداء البغضاء ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ والحساب هو إحصاء ما على العبد وله سوء المؤاخذة وعدم العفو عن شيء ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ أي: مستقرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ أي الطبقة التي يلقى داخلها بالتهجم والعبوسة، ولما كان المأوى إنما يأوى إليه صاحبه للراحة فيه بالإتكاء على فرش ونحوه، قال معبرًا بمجمع المذام: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1].

أما آية سورة الزمر (٤٧) فقد ورد فيها ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾.

فقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فكان الأصل ﴿لَهُم﴾ ولكنه قال تعميمًا، وتعليقًا بالوصف ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي وقعوا في الظلم، في شيء من الأشياء ولو قل، ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولما كان الأمر عظيمًا أكد ذلك بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾، وزاد في تعظيمه بقوله: ﴿وَمِثْلَهُۥ﴾ وقال: ﴿مَعَهُۥ﴾ ليفهم به الكل جملة لا على سبيل التقطيع ﴿لَٱفْتَدَوْا۟﴾ أي لاجتهدوا في طلب أن يفدوا به أنفسهم من سوء العذاب، وبين الوقت تعظيمًا له وزيادة في هوله فقال: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ روي الشيخان عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يقول الله – عزوجل – لأهون أهل النار عذابًا لو أن لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم، فيقول: وقد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم – عليه السلام – ألا تشرك بي شيئًا؛ فأبيت إلا أن تشرك بي»[2].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ١٠ صـ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في شرح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ـــــــ ح٦٥٥٧ جـ١١/ صـ٤٢٤، وأخرجه

وقوله: أردت: أي: فعلت معك بالأمر فعل المريد وهو معنى قوله في رواية "قد سألتك"، ولما كان التقدير ولو كان لهم ذلك وافتدوا به ما قبل منهم، ولا نفهم ولأن ذلك الوقت وقت الجزاء، لا وقت العمل، واليوم وقت العمل، لا وقت الجزاء، فلو أنفقوا فيه أيسر شيء على وجهه قبل منهم، ﴿وَبَدَا لَهُم﴾ أي ظهر ظهورًا تامًا لهم في ذلك اليوم من الله الملك الأعظم وهول أمره بإبهامه، ليكون ضده، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين(١) فقال ﴿مَا لَمْ يَكُونُواْ﴾ يحسب جبلاتهم، وما فطروا عليه من الإهمال والشهادة ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ أي لم يكن في طبائعهم أن يتعمدوا أن يحسبوه وتجوزه عقولهم من العذاب، وما كان كذلك كان أشق على النفس وأروع للقلب(٢).

الآية الثانية عشر:

تشابهت الآية (٤٠) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ مع الآية رقم (١٤) من سورة الفتح وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فقدم في المائدة ذكر التعذيب وأخر في سورة الفتح وأعقبت الأولى بقوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ والثانية بقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

والسر في ذلك والله أعلم:

مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب في الكفار (طلب الكفار الفداء بملء الأرض ذهبًا) مجلد ٦/ جـ١٧ صـ١٤٧ ط دار الريان للتراث.

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ١٦ صـ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧ بتصرف.

أنه لما تقدم آية المائدة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾[١] الآية، وقوله: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾[٢] الآية، وقد وقع في الآيتين ذكر تنكيل الطائفتين ممن حارب أو سرق مقدمًا فقيل في الطائفة الأولى ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فهذا يعجل لهم في الدنيا ثم أعلم تعالى بوعيدهم الأخروي وجزائهم إن هم وافوا على فعلهم هذا مستحلين ذلك المرتكب أو غير مستحلين أن أنفذ الوعيد عليهم وأعقب تعالى بذكر إقالتهم إن تابوا قبل أن يقدر عليهم بما أعطاه الاستثناء وأشار إليه قوله: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وقيل في الطائفة الثانية: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ ثم قال: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ ﴾ إذ أشار إلى من أقلع منهم تائبًا وأصلح فإن الله يتوب عليهم فقد تقدم في هاتين القصتين ذكر الامتحان قبل بابه رجاء الغفران وهذا في مآلهم الدنيوي ثم أعقب الآية التي أعلم فيها بانفراده بملك السموات والأرض وأنه تعالى يعذب من يشاء فقد ذكر العذاب مقدمًا على المغفرة تنظيرًا لما تقدم ومقابلة وتطابق كل ذلك بقدرة الله وسابق مشيئته فهذا وجه التقديم في آية المائدة.

وأما آية الفتح فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[٣] وبالإيمان رجاء الغفران وهو متشبث به كما أن العذاب مرتبط بالكفر ومناط به، فتقدم في هذه الآية مثمر الغفران وهو الإيمان وتأخر موجب التعذيب من الكفر والخذلان، ثم أعقب تعالى بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ ﴾ فناسبا بين الآيتين بالتناظر في

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٣ .
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٨ .
(٣) سورة الفتح: الآية ١٣ .

الجزاءين من المغفرة لمن تاب والتعذيب لمن كفر وارتاب وبحسب مشـــيئته سبحانه وما قدر لكل من الفريقين أولاً[١].

الآية الثالثة عشر:

تشابهت الآية رقم ٤٦ من سورة المائدة وذلك في قوله تعـــالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ مع الآية (٢٧) من سورة الحديد وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث إبدال حرف بحرف (الواو، ثم) ومن حيث الحذف والذكر في الكلمات.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة ورد الكلام فيما تقدمها في بني إسرائيل من لدن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[٢] إلى الآية التي نحن فيها ثم استمرت الآيات بعد فيهم إلى قوله تعـــالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾[٣] فأكثر آيات هذه السورة إنما نزلت فيهم تعريفاً بمرتكباتهم وتحريفهم ونقضهم الميثاق وحكمهم بغير ما أنزل الله وفي أثناء ذلك تسلية نبينا ﷺ عنهم كقوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[٤] وقوله تعـــالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا .... ﴾[٥] ولم يقع في هذه الآيـــة ذكر لغير بني إسرائيل ومن كان منهم من الأنبياء من بعد موسى عليه السلام إلـــى قولـــه تعـــالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[٦] ولا توقف في ذكر الرسل والأنبياء بعيسى عليه السلام فلهذا لم يقع هنا ذكر واسطة.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـ١/ ١٢٦، ١٢٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٢.
(٣) سورة المائدة: الآية ٨٢.
(٤) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٥) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٦) سورة الحديد: الآية ٢٧.

أما آية الحديد فمقصدها غير هذا إذ هي وما اتصل بها قبلها وبعدها خطاب للمؤمنين وعظات وترغيب وتحذير أن يكونوا كمن عرفوا به ممن طال عليه الأمد وقسا قلبه فلهذا وما يتلوه إلى أول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ .....﴾[١] إلى آخر السورة خطاب للمؤمنين بما لهم وعليهم وما وعدوا به وحذروا منه وكذا سورة الحديد بجملتها وهم المعرفون بقوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فالمراد عامة الرسل عليهم السلام ممن كان من بني إسرائيل وقبلهم تعريفاً بما أنعم سبحانه على العباد من رحمتهم بإرسال الرسل وقضى من جميعهم على نوح وإبراهيم إعلامًا بحالهما في الرسل كما قيل ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ ﴾ بعد دخولهم تحت قوله ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ وشمول لفظ الملائكة لهم ولغيرهم.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ وذكر ما جعل في ذريتهما من النبوة والكتاب اتبع تعالى بتوالي الأنعام بمن بعدهم فقال: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ إشارة إلى من كان بعد نوح وإبراهيم وبينهم دين عيسى وذلك كثير ثم قال: ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ﴾ وهذا مقصد مباين ما قصد بآية المائدة فاختلف ما ورد في الموضعين لاختلاف المقصد فيهما والله أعلم بما أراد[٢].

الآية الرابعة عشر:

تشابهت الآية رقم (٦٩) من سورة المائدة مع الآيتين رقم ٦٢ من سورة البقرة، والآية ١٧ من سورة الحج.

حيث قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٦ .

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي: جـ١ صـ١٣٦، ١٣٧ .

وفي سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وفي سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير.

والسر في تقديم الفرق وتأخيرها، ورفع الصابئين في آية ونصبها في أخرى والله أعلم:

أن تقديم ﴿ الصَّابِئِينَ ﴾ على ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ ورفعه هنا ونصبه هناك في سورة الحج لترتيب الكتب في سورة المائدة وترتيب الأزمة في سورة الحج؛ لأن ﴿ الصَّابِئِينَ ﴾، وإن كانوا متأخرين عن النصارى بأنه لا كتاب لهم، فإنهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم، لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام، فرفع ﴿ الصَّابِئُونَ ﴾ ونوى به التأخير عن مكانه، كأنه قال بعد ما أتي بخبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والصابئون هذه حالهم أيضًا وهذا مذهب سيبويه، لأنه لا يجوز عنده ولا عن البصريين، وكثير من الكوفيين: إن زيدًا وعمرو قائمان، والفراء يجيز هذا على شريطة أن يكون الاسم الأول المنصوب بإن لا إعراب فيه نحو (إن هذا وزيد قائمان) ويتعلق بالخلاف بين البصريين والكوفيين في أن ﴿ إِنَّ ﴾ لها عملان، النصب والرفع على مذهب البصريين، وأن لها عملاً واحدًا عند الكوفيين، وهو النصب إلا أن المذهب الصحيح ما ذهب إليه سيبويه، وهذه الآية تدل عليه لأنه قدم فيه الصابئون والنية بها التأخير على مذهب سيبويه، وإنما قدم في اللفظ وأخر في النية، لأن التقديم الحقيقي التقديم لكتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم السلام.

والترتيب في آية سورة الحج ترتيب أزمنة لا نية للتأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتاب، إذ كان أكثر من ذكر ممن لا كتاب لهم وهم الصابئون، والمجوس والذين أشركوا عبدة الأوثان.

فهذه ثلاث طوائف، وأهل الكتاب طائفتان، فلما لم يكن القصد في الأغلب الأكثر من المذكورين ترتيبهم بالكتب رتبوا بالأزمنة، وأخروا الذين أشركوا لأنهم وإن تقدمت لهم أزمنة وكانوا في عهد أكثر الأنبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات الله عليهم، فإنهم كانوا أكثر ممن سنى رسول الله لهم، وصلى بجهادهم، وكأنهم لما كانوا موجودين في عصر النبي كانوا أهل زمانه، وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين قدم ذكرهم.

أما آية البقرة، فالمعنى فيها: إن الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود، والذين آمنوا بما أتى به الإنجيل وهم النصارى فهذا ترتيب على حسب ما ترتب عليه تنزل الله تعالى كتبه فصحف إبراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والتوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، فرتبهم الله عزوجل في هذه الآية على ما رتبهم عليه في بعثة الرسالة[1] والله أعلم.

الآية الخامسة عشر:

تشابهت الآية رقم (٧٢) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ سورة النساء الآية (٤٨) ومع الآية رقم (٣١) من سورة الحج وهي قوله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ حيث ورد

---

(١) درة التنزيل للإسكافي ـــــــ سورة البقرة ٦٢ الآية السادسة بتصرف جـ١/ صـ٢٥٠: ٢٥٨ بتصرف.

في آية سورة المائدة ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ وفي آيتي سورتي النساء والحج ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الفصل والوصل ٠

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية سورة المائدة ورد فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ والظاهر أنه من كلام عيسى عليه السلام فهو داخل تحت القول السابق وهو قول المسيح ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ فيه أعظم ردع منه عن عبادته إذا أخبر أنه من عبد غير الله منعه الله دار من أفرده بالعبادة وجعل مأواه النار، لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[١]٠

وقيل هو من كلام الله تعالى مستأنفًا، أخبر بذلك على سبيل الوعيد والتهديد[٢]٠

أما آية سورة النساء فقد ورد فيها قوله: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ أخبر سبحانه في سورة النساء أنه سبحانه لا يغفر أن يشرك به على سبيل التجديد المستمر إلى الموت، سواء كان المشرك من أهل الكتاب أم لا، وزاد ذلك حسنًا أنه في سياق: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[٣] ولما أخبر بعدله، أخبر بفضله فقال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الأمر الكبير من كل معصية إعلامًا بأنه مختار، لا يجب عليه شيء ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ ولما كان التقدير: "فإن من أشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا" عطف عليه قوله ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ﴾ أي: يوجد منه شرك في الحال أو المآل، وأما الماضي فجبته التوبة ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي الذي كل شيء دونه

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٨ ٠

(٢) راجع البحر المحيط لأبي حيان: جـ٤/ صـ٣٢٩ ٠

(٣) سورة النساء، الآية ٣٦ ٠

﴿ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ ﴾ أي تعمد كذبا ﴿ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ وعبر بالمضارع استكفاف مع استعطاف واستجلاب في استرهاب[١].

أما آية سورة الحج فقد ورد فيها ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ..... ﴾ فهي مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الأمر بالاجتناب الشرك وإظهار الاسم الجليل لإظهار حال قبح الإشراك، والغرض بهذا ضرب المثل لمن يشرك بالله والمعنى أن بعد من أشرك به عن الحق والإيمان ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ ﴾ أي كبعد من سقط من السماء إلى الأرض، أي: انحط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ أي: تخطف لحمه وتسلبه وتقطعه بمخالبها وتذهب به، أو ﴿ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ أي تقذفه وترمي به ﴿ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي بعيد فلا يصل إليه أحد بحال[٢].

الآية السادسة عشر:

تشابهت الآية رقم (٧٥) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ مع الآيتين رقم (٤٦) من سورة الأنعام وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ والآية رقم (٦٥) من سورة الأنعام وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ فقد ختمت آية المائدة بالأمر بالنظر كيف بينت حالهم الآيات ثم هم يؤفكون وفي آيتي الأنعام الأمر بالنظر كيف صرفت لهم الآيات ثم هم يصدقون وفي الأخرى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٥ صـ٢٩٧، ٢٩٨ بتصرف.

(٢) راجع فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان: جـ٩ صـ٤٦، ٤٧ بتصرف ـــ ط/ المكتبة العصرية.

حيث الذكر والحذف يذكر ﴿لَهُمُ﴾ وحذفها، ومن حيث الفصل والوصل، يذكر ﴿ثُمَّ﴾ وحذفها، ومن حيث الاسمية والفعلية ﴿انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فعلية واسمية ﴿هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة ـــــ ورد التعبير فيها بأن المسيح عليه السلام الممسوح بدهن القدس، المطهر المولود، لأنه ﴿ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ وما كان بدعًا ممن كان قبله من إخوانه ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي بليغة الصدق في نفسها، والتصديق لما ينبغي أن يصدق، فرتبتها تلي رتبة الأنبياء، ولما كان المقام مقام البيان عن نزولهما عن رتبة الإلهية، ذكر بها الأوصاف منها فقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ فهو أصل الحاجات المقتربة للإنسان ولما أوضح ما هو الحق في أمرهما، حتى ظهر كالشمس بعدهما عما ادعوه فيهما أتبعه التعجب من تمام قدرته على إظهار الآيات، وعلى الاحتلال بعد ذلك البيان، فقال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي نوضح إيضاحًا شافيا العلامات التي من شأنها الهداية إلى الحق، والمنع من الضلال، ولما كان العمى عن هذا البيان في غاية البعد، أشار إليه بأداة التراخي، فقال: ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ﴾ أي كيف؟ ومن أين، ولما كان العجب قبولهم للصرف وتأثرهم به، لا كونه من صارف معين؛ بني للمفعول قوله ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يصرفون عن الحق وبيان الطريق، صرف ما لا نور له أصلا، من أي صارف كان، وصرفهم في غاية السفول؛ وبيان الآيات في غاية العلو بينهما بون عظيم[١] وتكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب[٢] أو لاختلاف المتعلق لأن الأول: أثر بالنظر في كونه تعالى أوضح لهم الآيات ويبينها بحيث لا يقع بها لبس، والأمر الثاني: هو بالنظر في كونهم يصرفون

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦ بتصرف.

(٢) تفسير أبو السعود: جـ٣ صـ٦٨ .

عن استماع الحق وتأمله، أو كونهم يقلبون ما بين لهم إلى الضد فيه وهذان أمرا عجيبا" ودخلت ثم لتراخي ما بين العجبين[١] أي لإظهار ما بين العجبين من التفاوت أي: إن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ لأقاصي الغايات القاصية من التحقيق والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة، وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبدع[٢].

أما آية الأنعام (٤٦) فبينت أن الله سبحانه هو القادر على كل شيء العالم بكل شيء فقال سبحانه أخبروني إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم فأصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم فأصبحت لا تعي أو لا تنتفع من إله معبود بحق غير الله جل جلاله الذي له جميع العظمة يأتيكم به أي بالذي هو أشرف أعضائكم، ولما بلغت هذه الآيات من الإبلاغ في البيان في وحدانيته وبطلان كل معبود سواه – أعلى المقامات ..... نبه على ذلك بالأمر بالنظر فيها وفي حالهم بعدها ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي نوجبها لهم ولغيرهم في كل وجه من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالعقول ويدهش الألباب ويكون كافيًا في الإيصال إلى المطلوب[٣].

فقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ تعجيب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة، أي انظر كيف تكررها، ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العلية، وتارة بطريق الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير ﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ عطف على تصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد صروفهم، أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليه[٤].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان: جـ٤ صـ٣٣٣ عند تفسير الآية ٧٥ من سورة المائدة ـــــــ ط: دار الفكر.

(٢) تفسير أبو السعود: جـ٣ صـ٦٨ .

(٣) نظم الدرر للبقاعي: جـ٧ صـ١١٨، ١١٩ بتصرف.

(٤) تفسير أبوالسعود: جـ٣ صـ١٣٤ .

أما الآية (٦٥) من سورة الأنعام، بينت أنه سبحانه القادر على أن يبعث عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم من جهة السفلى أو يلبسهم شيعا متحزبين على أهواء شتى، كل فرقة مشايعة لإمام فينشب بينكم قتال، ونذيق بعضكم بأس بعض والبعض الأول: الكفار، والآخر: المؤمنون، فبين وعد ووعيد ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ من حال إلى حال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ كي يفقهوا ويقفوا على جلية الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد[١].

الآية السابعة عشر:

تشابهت الآية رقم (٨٥) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مع الآية (٣٤) من سورة الزمر حيث قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وذلك حيث ورد في آية المائدة الوصل بالواو في قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وورد في آية سورة الزمر الفصل بدون الواو فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الفصل والوصل.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية سورة المائدة ظاهرة أن الإثابة فيها بما ذكر مترتبة على مجرد القول ولابد أن يقترن بالقول الاعتقاد، وتبين أنه مقترن به أنه قال ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ فوصفهم بالمعرفة، فدل على اقتران القول بالعلم وقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢] وهي آية الزمر بدون واو أي بالفصل دون الوصل.

وذلك إما أن يكون من وضع الظاهر موضع المضمر، تنبيهًا على هذا الوصف بهم وأنهم أثبتوا لقيام هذا الوصف بهم وهو رتبة الإحسان وهي

---

(١) تفسير أبوالسعود: جـ٣ صـ١٤٦ بتصرف.

(٢) سورة الزمر : الآية ٣٤ .

التي فسرها رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١] ولا إخلاص ولا علم أرفع من هذه الرتبة.

وإما أن يكون أريد به العموم فيكونون قد اندرجوا في المحسنين على أن هذه الإثابة لم تترتب على مجرد القول اللفظي ولذلك فسره الزمخشري[٢] بقوله: «بما قالوا: مما تكلموا به من اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان، أي اعتقاده وما يذهب إليه»[٣].

الآية الثامنة عشر:

تشابهت الآية رقم (٨٩) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ مع آية رقم (٢٤٢) من سورة البقرة وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وتشابهت مع الآية (١٠٣) من سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وتشابهت مع الآية (٥٩) من سورة النور وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فنجد أن ختم الآيات اختلفت فمتشابه النظم هنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ـــــ حديث رقم ٥٠/ جـ١/ صـ ١٤٠ ـــــ ط: دار الريان للتراث.

(٢) الكشاف للزمخشري: جـ١ صـ ٦٧٠ ط: دار الكتاب العربي ـــــ بيروت.

(٣) راجع البحر المحيط لأبي حيان عند تفسير الآية (٨٥) من سورة المائدة، جـ٤ صـ ٢٤٨.

من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ، والسر في ذلك والله أعلم أن آية المائدة: تحدثت عن عدم مؤاخذة الله تعالى باللغو وما يسيق إليه اللفظ من غير قصد في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وبين كفارته، ثم ختم الآية بقوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فلما اشتملت هذه الآيات من البيان على ما يدهش الإنسان، كان كأنه قيل هل بين كل ما يحتاج إليه هكذا؟ فنبه عن هذه الغفلة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي مثل هذا البيان العظيم الشأن ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ أي: على ما له من العظمة، ﴿لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أي: أعلام شريعته، وأحكامه، على ما لها من العلو بإضافتها إليه.

ولما اشتمل ما تقدم من الأحكام والحكم والتنبيه والإرشاد والإخبار بما فيها من الاعتبار على نعم جسيمة، وسنن جليلة عظيمة، ناسب ختمها بالشكر المربي لها، في قوله: على سبيل التقليل، المؤذن بقطعها إن لم توجد العلة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: يحصل منكم الشكر بحفظ جميع الحدود الآمرة والناهية[1].

أما آية البقرة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لما بين الله في الآيات السابقة هذه الأحكام هذا البيان الشافي كان كأن سائلاً قال: هل يبين غيرها مثلها؟ فقال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ أي الذي له الحكمة البالغة لأنه المحيط بكل شيء ﴿لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي المرئية بما يفصل لكم في آياته المسموعة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لتكونوا على حال يرضي لكم معها التفكر في الآيات المسموعات والآيات المرئيات كما يفعل العقلاء فيهديكم ذلك إلى سواء السبيل، وقد كرر مثل هذا القول كثيرًا وفصلت به الآيات تفصيلا وكان لعمري يكفي النص السالم من مرض القلب وآفة الهوى إيراده مرة واحدة في الوثوق بمضمونه، وإنما كرر تنبيهًا على بلاغة الآيات المختومة به وخروجها عن طوق البشر وقدرة المخلوق، وذلك أنهم

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ٢٩٠ بتصرف.

كلما سمعوا شيئًا من ذلك وهم أهل السبق في البلاغة والظفر على جميع أرباب الفصاحة والبراعة فراؤه قاتتا لقواهم وبعيدًا عن قدرهم خطر لهم السؤال عن مثل ذلك البيان ناسين لما تقدم من صادق الوعد وثابت القول أن الكل على هذا المنوال البديع المثال، البعيد المنال لما اعتراهم من انبهار الألباب والفهوم[١].

أما آية آل عمران (١٠٣) اشتملت على الأمر بالاعتصام بحبل الله المتين ونهى عن التفرق وذكرهم بنعمه تعالى عليهم أي يا من اعتصم بعصام الدين إذ كنتم أعداء متنافرين أشد تنافر فألف بين قلوبكم بالجمع على الصراط القويم والمنهج العظيم فأصبحتم بنعمته إخوانًا قد نزع الله من قلوبكم المحن، وأزال تلك الفتنة .

ولما ذكر سبحانه النعمة التي أنقذتهم من الدنيا، ثنى بما تبع ذلك من نعمة الدين التي عصمت من الهلاك الأبدي فقال: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ أي: حرف وطرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ بما كنتم فيه من الجاهلية، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ ولما تم هذا البيان على هذا الأسلوب الغريب نبه على ذلك جوابًا لمن يقول: «لله در هذا البيان (إما أغربه من بيان) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا البيان البعيد المنال، البديع المثال، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ المحيط علمه الشاملة قدرته العظيمة ﴿لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وعظم الأمر بتخصيصهم به وإضافة الأي إليه ولما كان السياق ليبين دقائق الكفار في إرادة إضلالهم، ختم الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: ليكون حالكم عند من ينظركم حال من ترجى وتتوقع هداية، هذا النص حالكم فيما بينكم وأما هو سبحانه وتعالى فقط أحاط علمه بالسعيد والشقي ثم الأمر إليه ممن شاء هداه ومن أراد أرداه[٢].

أما الآية (٥٩) من سورة النور التي بينت الاستئذان ولما كانت آيات الاستئذان أتقن حاسم لمواد الشر، وتركها أعظم فاتح لأبواب الفتنة، وكان

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ٣ صـ٣٨٤، ٣٨٥ بتصرف.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: جـ٥ صـ١٧، ١٨ بتصرف.

إخراج الكلام في أحكام الحلال والحرام مع التهذيب والبيان في النهاية من الصعوبة، وكان فطم النفوس عما ألفت في غاية من العسر شديد أشار سبحانه إلى ذلك بتكرير آية البيان، إشارة إلى أنها – لما لها من العلو جديرة بالتأكيد وإلى أن البلغاء يستعدون القدرة على البيان كلما أريد على هذا السنن فقال (كذلك): أي مثل ذلك البيان الذي بينته آيات الأحكام.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ بما له سبحانه من صفات الكمال ﴿لَكُمْ﴾ مع ما لكم من خلال النقص ﴿ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أي العلامات الدالة عليه من هذه الفرعيات وما رقت إليه الأصليات، فأضافها إليه سبحانه تعظيمًا لها، إشارة إلى أنها مقدمة للآيات الإلهية لأن من لم يتفرغ من مكدورات الأفكار، لم يطر ذلك المطار، وحثًا على تدبر ما تقدم منها لاستحضار ما دعت إليه من الحكم، وفصلت به من المواعظ، وتنبيهًا على ما فيها من العلوم النافعة دينًا ودنيا، وزاد في الترغيب في العلم والحكمة إشارة إلى أن ذلك سبب كل سعادة فقال: ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي المحيط بكل شيء[1] ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

الآية التاسعة عشر:

تشابهت الآية رقم (٩٢) من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ مع الآية [١٢] من سورة التغابن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ فورد في آية المائدة زيادة ﴿وَٱحْذَرُوا۟ ۚ﴾ وزيادة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ مع اتحاد ما تضمنته الآيتان من الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والتحذير من التنكير عن ذلك والتولي فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم: أن آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم اتبع بعد ذلك بذكر العلة في تحريمها فقال تعالى: ﴿

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: جـ١٣ صـ٣١٢، ٣١٣.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ....الآيـــة ﴾ إلـــى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فختمت من التهديد بما يشعر بشديد الوعيد ناســب ذلك قوله تأكيدًا لما تقدم من الإشعار بمخوف الجزاء قوله ﴿ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ وقوله ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم.

أما آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] فلما لم يرد هنا نهى عن محرم متأكد التحريم بما اتبع النهي مــن التهديد والتأكيد لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هنــاك فجاء كل على ما يجب ويناسبه والله أعلم[2].

الآية العشرون:

تشابهت الآية رقم [١٠٤] من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ مع آية البقرة رقم [١٧٠] وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.

والسر في اختصاص آية المائدة بـــ﴿ وَجَدْنَا ﴾ وآية البقرة ﴿ أَلْفَيْنَا ﴾ وأيضًــا آية المائدة بقوله ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وآية البقرة بقوله: ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن قوله: ﴿ أَلْفَيْنَا ﴾ في آية سورة البقرة و﴿ وَجَدْنَا ﴾ في آية سورة المائــدة يقصد باللفظ ﴿ أَلْفَيْنَا ﴾ بعض الوجوه التي استعمل عليها ﴿ وَجَدْنَا ﴾، لأنه يقال

---

(١) سورة التغابن: الآية ١١ .

(٢) راجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي جـــ١/ صـــ١٣٧، ١٣٨ .

وجدت الشيء، فلا يحتاج إلى مفعول ثان إذا وجدته عن عدم ولوجدان الضالة نقول: وجدت الضالة ونقول: وجدت زيدًا عاقلا، فيكون الوجود متعلقًا بالخبر الذي هو المفعول الثاني، فلابد له في هذا الوجه منه، ولا يكتفي بالمفعول الأول – وأما قولهم: ﴿أَلْفَيْنَا﴾ فإنها مخصوصة بهذا الوجه من وجوه وجدت، لا يقال: ألفيت درها بمعنى وجدت درها، ولا ألفيت الضالة، فكان في موضع سورة البقرة استعمال اللفظ الأخص أولى وتأخير اللفظ المشترك إلى موضع سورة المائدة أولى٠

وأما اختصاص آية سورة البقرة بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ واختصاص آية سورة المائدة بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾٠

والسر في ذلك والله أعلم:

أن قوله ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ رتبة ليست لقوله ﴿يَعْقِلُونَ ﴾ فقوله يعلم، معناه: يدرك الشيء على ما هو به مع سكون إليه، وقوله: يعقل، معناه يحصره بإدراك له عما لا يدركه، فإذا كانت رتبة ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ زائدة على رتبة ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ فأخبر الله تعالى عن الكفار في سورة المائدة فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] فبين أنهم ادعو رتبة العلم بصحة ما كان آباؤهم عليه، لأنهم قالوا ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۚ﴾ ولفظه حسبنا يستعمل فيما يكفي في بابه ويغني عن غيره فالمدرك للشيء إذا أدركه على ما هو به وسكنت نفسه إليه فذاك حسيه، فاستعمل لفظه ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ ونفى عنهم النهاية لأنهم ادعوها بقولهم: ﴿حَسْبُنَا ﴾، فكأنهم قالوا: معنا علم سكنت نفوسنا إليه مما وجدنا عليه آباءنا من الدين فنفى ما ادعوه بعينه وهو

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٤ ٠

العلم.

أما آية سورة البقرة لم يحك عنهم فيه أنهم ادعو تناهيهم في معرفة ما اتبعوا عليه آباءهم، بل كان قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1] ولم يدعو أن ما ألفوا عليه آباءهم كان كافيهم وحسبهم ما اكتفى بنفي أدنى منازل العلم لتكون كل دعوى مقابلة بما هو بإزائها مما يبطلها والله أعلم[2].

الآية الحادية والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١٠٦] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ..... ﴾ مع آية [٤١] من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ ومتشابه النظم هنا متشابه من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف فقد حذف قليلاً من آية المائدة وذكرت في آية البقرة.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة كانت في معرض الحديث عن الوصية وأنها من المهمات التي لا ينبغي التهاون بها وحث على الإشهاد عليها اثنان ذوا عدل من المسلمين أو من غيرهم، إن أنتم سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما أي توقفونهما للتحليف من بعد صلاة العصر فيقسمان أي يحلفان بالله إن ارتبتم وشككتم فيهما بخيانة وأخذ شيء من تركة الميت.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: جـ١ صـ٣١٠، ٣١٥ بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ جواب للقسم أي يقولان: لا نأخذ لأنفسنا بدلاً من الله، أي: من حرمته عرضًا من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب، أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ من نقسم له ونشهد عليه ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي قريبًا منا، تأكيدًا لتبريهم من الحلف الكاذب، ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا: لا تأخذ لأنفسنا بدلاً من حرمة اسمه تعالى مالاً، ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء، فكيف إذا لم يكن كذلك؟ ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي: الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها، وأضافتها إلى الاسم الكريم تشريفًا لها وتعظيمًا لأمرها: ﴿ إِنَّآ إِذًا ﴾ إن كتمناها ﴿ لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ أي: المعدودين من المستقرين في الإثم[1].

فذكر ﴿ ثَمَنًا ﴾ دون قليلاً لأنه يتناسب مع نظم الآية الكريمة أيًا كان هذا الثمن قليلاً أو كثيرًا.

أما آية البقرة فقد ذكر فيها ﴿ قَلِيلًا ﴾ حيث قال تعالى: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي آمنوا بما أنزلت من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ أي موافقًا بالتوحيد وصفة محمد ﷺ ونعته، وبعض الشرائع لما معكم من الكتاب.

فأمرهم الله تعالى بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم أن في تصديقهم بالقرآن تصديقًا منهم للتوراة، وتقييدًا للمنزل لكونه مصدقًا لما معهم، لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر، وبيان أن ما أنزل عليه ﷺ هو طبق ما عندهم من صفة نبوته، وصحة البشائر عنه، وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ يعني من جنسكم أهل الكتاب، بعد سمعاكم بمبعثه، فالأولية نسبية، فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، أو هو تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه، والمستفتحين على الذين كفروا به.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي: جـ ٤ صـ٢٨ بتصرف ط: دار الكتب العلمية.

وقوله: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي، بالدنيا وشهواتها، فإنها قليلة فانية فالاشتراء استعارة للاستبدال ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ بالإيمان واتباع الحق، والإعراض عن حطام الدنيا(١).

فذكر قليلا ناسب سياق الآية الكريمة فلا يتعاضوا عن الإيمان بآيات الله والتصديق برسوله بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة وفانية.

الآية الثانية والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١١٠] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ ....وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى .... ﴾ مع الآية رقم [٤٩] من سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فإذا كان المذكور في الموضعين ﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ وصلح أن يعد الضمير إلى مذكر وإلى مؤنث، فيراد مثل هيئة الطير وهو مذكر أو يراد هيئة كهيئة الطير وهي مؤنثة، فخصت آية المائدة بالتأنيث وخصت آية آل عمران بالتذكير، وأيضًا ورد في آية المائدة ﴿ بِإِذْنِى ﴾ وفي آية آل عمران ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التأنيث والتذكير ﴿ فِيهِ ﴾، ﴿ فِيهَا ﴾ ومن حيث التركيب من حيث الذكر والحذف ﴿ بِإِذْنِى ﴾.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية سورة المائدة مخصوصة بتأنيث الضمير العائد إلى ما يخلق إذ هي في ذكر ما عند الله من النعم على عيسى عليه السلام وما أصحبه إياه من المعجزات وأظهر على يده من الآيات وابتداؤها: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

(١) راجع: محاسن التأويل للقاسمي: جـ ١ صـ٢٩٨، ٢٩٩ بتصرف.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ ﴾ والإشارة في هذه الآية ليست إلى أول ما يبديه لبني إسرائيل من ذلك محتجًا به عليهم وإنما هي إلى جميع ما أذن الله تعالى في كونه دلالة على صدقه من قبل الصور التي يصورها من الطين على هيئة الطير وبذلك التأنيث أولى به.

أما آية آل عمران الذي ذكر الضمير فيها مذكرًا إنما هو فيما أخبر الله عزوجل به من عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقوله عليه السلام لبني إسرائيل ﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ وعدد الآيات كلها عليهم منها: أني آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير في تركيبه فأنفخ فيه فينقلب حيوانًا لحما، قد ركب عظمًا وخالط دمًا واكتسى ريشًا وجناحًا كالطائر الحي، والقصد في هذه الآية ذكر ما تقوم به حجته عليهم، وذلك أول ما يصور الطين على هيئة الطير، ويكون واحدًا تلزم به الحجة، فالتذكير أولى به.

أما اختصاص آية سورة المائدة بقوله ﴿ بِإِذْنِى ۖ ﴾ وآية آل عمران اختصت بقوله: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ فكل ما ورد في آية سورة المائدة ينطق أنه ما ذكر أنه بغير إذنه هو بإذنه سبحانه ويكون المعنى في آية آل عمران: ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ ألقيه بعد التركيب على مثال الطائر لحمًا ودمًا وعظمًا، ثم بالنفخ فيه أجعله حيوانًا، وكل ذلك بإذن الله تعالى، ويكون معنى قوله: ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ راجعًا إلى كل ما ذكر أنه يفعله من مبتدأ قوله: ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ فجميع تلك الأفعال واقعة بإذن الله تعالى، وإذن الله عبارة عن إرادته وخلقه على يده، فسهل ذلك على يد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، عند الاحتجاج به وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ثلاثة أفعال لا تكون إلا بإذن الله تعالى.

وقوله: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ ﴾ هذا وإن كان إخبارًا عن عيسى عليه السلام وفعلاً من أفعاله فإنه لا يصح أن يكون إلا بإذن الله تعالى، وإلا

فما يعلم ما يفعلونه من بيوتهم مما هو غيب عنه إلا بإذن الله عزوجل للملائكة واطلاعه عليه والله أعلم[١].

وأيضًا تشابهت الآية [١١٠] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ مع الآية [٧] من سورة الأنعام حيث قال تعالى: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ حيث ذكر ﴿مِنۡهُمۡ﴾ في آية سورة المائدة ، ولم تذكر ﴿مِنۡهُمۡ﴾ في آية سورة الأنعام فمتشابه النظم هنا متشابه من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم: أن عدم ذكر ﴿مِنۡهُمۡ﴾ في آية الأنعام: حيث قال الذين كفروا أي: حكمًا بتأييد كفرهم سترًا للآيات عنادًا ومكابرة ولقلة أسقط ﴿مِنۡهُمۡ﴾ إشارة إلى عموم دعوته ﷺ أي: من العرب ومن غيرهم من أمة دعوتك ولاسيما اليهود المشار إلى تعنتهم وكذبهم بقوله: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾[٢]، ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي ما هذا إلا سحر أي تمويه وخيال لا حقيقة له وزادوا في الوقاحة فقالوا: ﴿مُّبِينٞ﴾ أي: واضح وظاهر[٣].

أما آية المائدة فقد ورد قبلها قوله: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ أي اليهود، لما هموا بقتله ولما كان ذلك ربما أوهم نقصًا استحلوا قصده به، بين أنه قصد ذلك كعادة الناس مع الرسل، والأكابر من أتباعهم تسلية لهذا النبي الكريم عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والتابعين له بإحسان، فقال: ﴿إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ كلها بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الآيات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: جـ١ صـ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥ بتصرف.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٣ .

(٣) راجع: نظم الدرر للبقاعي: جـ٧/ صـ٢٥ .

أي من قومه الذين بعثت إليهم – وهم بنوإسرائيل ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

الآية الثالثة والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١١١] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ بإثبات النونات الثلاث، مع الآية رقم [٥٢] من سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف وإثبات النونات الثلاث، وحذف النون ﴿ بِأَنَّنَا ﴾، ﴿بِأَنَّا ﴾.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن ما جاء في سورة المائدة بإثبات النونات الثلاث جاء على الأصل غير مخفف بالحذف، لأنه أول كلام الحواريين في هذا المعنى؛ ألا تراه خبرًا عن الله تعالى أنه قال: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

أما الذي في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سألهم عما أقروا به لله تعالى، فقال: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فكان ذلك لهم إقرارًا ثانيًا لرسوله عليه السلام بمثل ما أقروا به لله تعالى، فيختار فيه التخفيف ما لا يختار في آية المائدة، لأن ما في آية المائدة قد ورد في العبارة حقها وباقي آية آل عمران معتمدة على ما قبلها، وهي مكررة، والعرب تستثقل

---

(١) راجع نظم الدرر للبقاعي: جـ٦ صـ٣٤٢ بتصرف.

المعاد ما لا يستثقل غيره، فاختير في سورة آل عمران ما لم يختر في سورة المائدة لذلك والله أعلم[١].

الآية الرابعة والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١١٦] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ..... ﴾ ومع الآية رقم [٥٥] من سورة آل عمران بدون واو وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ..... ﴾ فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الفصل والوصل.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة بالواو وذلك وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ معطوف على ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي ﷺ أو بمضمر مستقل معطوف على ذلك، أي: اذكر للناس وقت قول الله عزوجل له ﷻ في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم، بإقراره ﷻ على رءوس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عزوجل، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع[٢].

أما آية آل عمران [٥٥] وهي: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ بدون الواو وذلك لأن ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لمكر الله أو لمضمر نحو وقع ذلك[٣] فقوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ .... ﴾ استئناف وإذ ظرف غير متعلق بشيء أو تتعلق بمحذوف، أي اذكر إذ قال الله، وهذا حكاية لأمر رفع المسيح وإخفاءه عن أنظار أعدائه، وقدم الله في خطابه إعلامه بذلك لامتثاله، إذ لم يتم ما يرغبه من هداية قومه، مع العلم بأنه يحب لقاء الله، والنداء فيه للاستئناس[٤].

---

(١) راجع: درة التنزيل للخطيب الإسكافي: جـ١ صـ٣٨٤، ٣٨٥ .

(٢) راجع تفسير أبوالسعود: جـ ٣ صـ١٠٠ .

(٣) تفسير أبو السعود: جـ٢ صـ٤٣ .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: جـ ٣ صـ٢٥٧، ٢٥٨ بإيجاز.

وقوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي متوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصمًا لك من قتلهم أو قابضك من الأرض إذ روي أنه رفع وهو نائم وقيل: مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك.

وقال القرطبي[١]: والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري[٢] وهو الصحيح[٣].

الآية الخامسة والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١١٨] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مع الآية رقم [٥] من سورة الممتحنة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حيث ورد في هاتين الآيتين وصفه تعالى بهاتين الصفتين المشيرتين إلى العزة والقهر وإنما ورد المطرد في الكتاب العزيز مهما جرى ذكر المغفرة طلبًا أو إخبارًا ورود ما به يقوي رجاء السائل ويطمع تعلقًا به المتذلل الراغب كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤] فختم الآية توسل مناسب لما تقدم من طلب المغفرة والرحمة وهو كثير في الكتاب العزيز مناسب للطلب.

وأما وصفه سبحانه بالعزة والملكية والحكمة فإنما يرد حيث يراد معنى الاقتدار والقهر والاستيلاء وإحاطة العلم وإفراده سبحانه بالخلق والأمر والربوبية والتعالي وما يرجع إلى هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥] .... إلخ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: جـ ٤ صـ ١٠٠ .
(٢) جامع البيان للطبري: جـ ٥ صـ٤٥١ ط: دار هجر.
(٣) تفسير أبو السعود: جـ ٢ صـ٤٣ .
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٩ .
(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٢ .

وهذا مطرد حيث يراد معنى القهر والملكية والإحاطة والاقتدار، فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ.

والسر في ختم آيتي المائدة والممتحنة بذلك والله أعلم: أن آية المائدة مبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك للكل يفعل فيهم ما يشاء فلو ورد هنا عقب آية المائدة: ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ لكان تعريضًا بطلب المغفرة ولم يقصد ذلك بالآية وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تسليمًا لله سبحانه وليس موضع طلب مغفرة لهم وإنما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم»[١] وقال القرطبي[٢]: رحمه الله: لم يقل: ﴿ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ لأن مخرجه على التسليم ولأن في ذكر الغفور تعريضًا للسائل والكلام لتسليم الأمرين والحكمة تقتضيهما فكأنه قال: فالمغفرة لا تنقضي من عزك ولا تخرج عن حكمتك.

أما آية الممتحنة، وهي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فأن قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ مبني على قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ فإن المراد لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيكون سبب فتنتهم فأنت القادر على كفهم ونصرنا عليهم فإنك العزيز الذي لا معارض لما نريده ولا مانع مما تشاؤه: ولما كان المؤمنون يعلمون أن ما يصيبهم من مصيبة إنما هي بما كسبت أيديهم سألوا المغفرة من مجترحاتهم وأورد سؤالهم مورد جمل الاعتراض فقدم وهو قوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ﴾ فإن الكلام في تقدير التقديم والتأخير: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا إنك أنت العزيز الحكيم واغفر لنا ربنا فقوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ﴾ أثناء الكلام إحرازًا لآدابهم ومعتقدهم الإيماني.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للغرناطي جـ ١ صـ ١٣٨ .

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٦ صـ ٣٧٨ .

وبالتالي تبين حال المناسبة في آية العقود وآية الممتحنة بين الآيتين وبين ما أعقبنا به وأنه لا يمكن على ما تقرر سواه والله أعلم بما أراد[١].

الآية السادسة والعشرون:

تشابهت الآية رقم [١١٩] من سورة المائدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ مع الآية رقم [١٠٠] من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ حيث حذفت ﴿ مِن ﴾ في قوله ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ﴾ بخلاف آية المائدة وتشابهت مع الآية [١٣] من سورة النساء وذلك في قوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ حيث حذف ﴿ أَبَدًا ﴾ في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ بخلاف آية المائدة وذكرت الواو في قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ بخلاف آية المائدة.

وتشابهت مع الآية رقم [١٢] من سورة الحديد حيث قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ حيث حذفت ﴿ أَبَدًا ﴾ بخلاف آية المائدة، وذكرت ﴿ هُوَ ﴾ في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ بخلاف آية المائدة، فمتشابه النظم هنا من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف.

والسر في ذلك والله أعلم:

أن آية المائدة ورد فيها قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾[٢] وإن كانت عامة في كل صادق مؤمن فإنها خرجت على ما يبكت الله به النصارى

---

(١) ملاك التأويل للغرناطي جـ١/ ١٣٩ .

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٩ .

من دعاويهم الباطلة ومقالاتهم الكاذبة منسوبة إلى عيسى عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١] فانكشف هذا عن صدقه عليه السلام ، وكذب القوم لما أجاب وقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾[٢] فلفظة ﴿ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في قوله: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ أي: الذين صدقوا في الدنيا، ينفعهم اليوم صدقهم، والصادقون يجوز أن يكون منصرفًا إلى عيسى عليه السلام وأمثاله من الأنبياء صلوات الله عليهم لقوله عزوجل: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٣] أي قال: هم الصادقون، فتكون الإشارة بالألف واللام إليهم صلوات الله عليهم، وإن كان كل صادق داخلاً في حكمهم من الانتفاع بصدقه.

فكان الذين أخبر الله عنهم بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار: الأنبياء وغيرهم صلوات الله عليهم.

فمن لابتداء الغاية، والأنهار مباديها أشرف، والجنات التي مبادئ الأنهار من تحت أشجارها أشرف من غيرها.

فكل موضع ذكر فيه ﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ إنما هو عام لقوم منهم الأنبياء والموضع الذي لم يذكر فيه "من" إنما هو لقوم مخصوصين ليس منهم الأنبياء عليهم السلام.

ولذلك نجد آية التوبة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ جعل مبادئ الأنهار تحت جنات أخبر الله أنها للصادقين والمؤمنين والذين عملوا الصالحات وقد خرج الأنبياء عنها لأن اللفظ لم يشتمل عليهم ولذلك حذفت ﴿ مِن ﴾ من قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦ .
(٢) سورة المائدة: الآية ١١٧ .
(٣) سورة الصافات: الآية ٣٧ .

﴿ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ إذ لا موضع في القرآن ذكرت فيه الجنات وجرى الأنهار تحتها إلا ودخلتها "من" سوى الموضع الذي لم ينطو ذكر الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السلام والله أعلم[١].

أما حذف ﴿ أَبَدًا ﴾ من الآية [١٣] من سورة النساء لأن بعده في مقابلة ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ قوله: ﴿ خَٰلِدًا فِيهَآ ﴾ ولم يقل ﴿ أَبَدًا ﴾، فلو ذكر فيهما أبدا لطال الكلام فاستغنى بقوله ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ و﴿ خَٰلِدًا فِيهَآ ﴾ عن ﴿ أَبَدًا ﴾.

وحذفت ﴿ أَبَدًا ﴾ أيضًا من الآية [١٢] من سورة الحديد فلأنه ذكر قبله: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢] فلو طال الكلام في مدحهم وذكر بعد ذلك تأكيدًا بقول الله تعالى هو استغنى بقوله ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾عن﴿ أَبَدًا ﴾.

أما عن ذكر ﴿ هُوَ ﴾ في آية سورة الحديد بخلاف آية سورة المائدة فذكر هو بدلاً وتأكيدًا عن ﴿ أَبَدًا ﴾ أيضًا.

وأيضا ذكر الواو في قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ في آية سورة النساء بخلاف آية سورة المائدة فزيادة الواو في آية سورة النساء المحذوف ﴿ أَبَدًا ﴾ عنه فذلك لادخال الواو في قرينة الكافر ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٣] فأدخل الواو فيه، أي وذلك لهم الفوز العظيم، وليس كذلك في المواضع الأخر فناسب ذلك سياق الآيات ـــــــ والله أعلم[٤].

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: جـ ١ صـ ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤ بتصرف.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٢ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤ .

(٤) راجع: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: جـ ١ صـ ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦ بتصرف.

المبحث الثالث
الرد على الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه النظم

فقد دأب خصوم الإسلام من الزنادقة والملحدين - قديمًا وحديثًا - على الطعن في كتاب الله تعالى والتشهير به، فحاولوا أن يجعلوا من هذا الحسن قبحًا، ومن هذه البلاغة عيًّا، ومن هذا التنويع في العبارات المكررة للمعنى الواحد اختلافًا.

وكلام الله تعالى تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو فوق ما يظنون، وأعلى مما يتوهمون، لذلك قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ سورة النساء الآية (٨٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت: الآيتان ٤١ -٤٢.

فكما أن لا اختلاف بين آيات القرآن في مدلولاتها بأن تنفي إحداها ما تثبته الأخرى، ولا اختلاف بين مدلولاتها وبين ما ثبت في الخارج بالمشاهدة، أو الدليل القاطع القائم على البرهان. كذلك لا اختلاف بين البعض منها والبعض الآخر في الإعجاز والفصاحة والبلاغة والمناسبة لمقتضى الحال، فلا تثبت هذه الأوصاف في البعض منها، وقد انتفت عن البعض الآخر، لأنها ثابتة للكل.

فمهما كان من اختلاف في النظم والتركيب في قصة واحدة كررت، أو آية واحدة رُددت، فإنه بعد البحث والتنقيب والتثاقل سيجد لهذا الاختلاف ما يقتضيه، وأن الآيات في البلاغة والإعجاز على تخالفها وتكرارها متشابهة: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ سورة الزمر: الآية ٢٨.

فيرد على الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه النظم أن للتكرار فوائد منها ما ذكره الباقلاني[١]:

١ - أن الله سبحانه لما خاطب العرب بلسانها على وجه ما تستعملها في خطابها، وكانت تستجيز الإطالة والتكرار تارة إذا ظنوا أن ذلك أجمع في مرادها، وتقتصر على الاختصار أخرى في مواطن الاختصار، خاطبهم الله تعالى على ما جرت عليه عادتهم، والعرب تقول: عجل عجل، وقم قم، فتقول: والله لا أفعله، ثم والله لا أفعله، إذا أرادت التوكيد وحسم الطمع في فعله، وتقول تارة: والله أفعله بإسقاط لا مختصر مرة وتطوله أخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إذا حشرتم وحوسبتم ورأيتم أهل الجنة وأهل النار، والأولى إذا حضرتم وعاينتم الملائكة فيكون ذلك في وقته ومتعلقًا بشيئين.

٢ - ووجه آخر في حسن التكرار من الله عزوجل، وهو أن في ذلك مرة بعد مرة من التثبيت لرسوله ﷺ والمؤمنين، والمواعظة والتخويف لهم والرغبة في طاعة الله والانزجار عن معصيته عند تكرار الكلام، وإعادة القصص وضرب الأمثال ما ليس في المرة الواحدة ولا شبهة على أحد في تعاظم النفي بتكرير الزجر والوعظ وعظيم موقعه من النفس وتوفيقه للقلب والتثبيت على طاعة الله والإذكار لجنته وتارة قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(٢).

٣ - ووجه آخر وهو أن الله سبحانه أنزل المتكرر في أوقات متغايرة، وأسباب مختلفة فحسن نية تكرار القصة للزجر والموعظة.

٤ - ووجه آخر أيضًا: وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحتاج إلى إنفاذ الرسل والدعاة إلى النواحي والبلدان ليدعو إلى الحق إلى طاعة الله

---

(١) الانتصار للقرآن لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبوبكر الباقلاني صـ ٨٠ ـــــ تحقيق/ محمد عصام القضاة ـــــ دار الفتح ـــــ عمان ـــــ بيروت ـــــ دار ابن حزم.

(٢) الفرقان: ٣٢ .

وليقرأوا عليهم القرآن فأنزل الله سيرة نبي بعد نبي وقصة بعد قصة، والقصة واحدة بألفاظ مختلفة لتقرأ كل قصة على أهل ناصيته وتقرأ القصة الواحدة بألفاظ مختلفة على أهل الأطراف والنواحي المختلفة.

٥ - ليعلم اقتداره جل وعلا مع عظم البلاغة في كلامه عزوجل ويعرفهم عجزهم عن ذلك ويقطع به شعثهم وشبههم(١).

كما يرد على الطاعنين على القرآن بسبب ما فيه من متشابه النظم بكون القرآن الكريم معجزًا فالقرآن الكريم معجزًا وبيان ذلك الإعجاز بطريقين:

الأول: إن القرآن لا يخلو حاله من أحد وجوه ثلاثة:

١ - إما أن يكون مساويًا لسائر كلام الفصحاء .

٢ - أو زائدًا على سائر كلام الفصحاء بقدر لا ينقض العادة .

٣ - أو زائدًا عليه بقدر ينقض، والقسمان الأولان باطلان فتعين الثالث، وهما باطلان؛ لأنه لو كان كذلك لكان من الواجب أن يأتوا بمثل سورة منه إما مجتمعين أو منفردين، وقوانين الفصاحة في الغاية. وكانوا في محبة أبطال أمره في الغاية حتى بذلوا النفوس والأموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل، وكل ذلك يوجب الإتيان بما يقدح في قوله والمعارضة أقوى القوادح، فلما لم يأتوا بها علمنا عجزهم عنها فثبت أن القرآن لا يماثل قولهم، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتًا معتادًا هو إذن تفاوت ناقض للعادة فوجب أن يكون معجزًا، وقد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته، ومع ذلك فإنه في الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها وراءها .

ومن الدلائل الدالة على كونه معجزًا:

أحدها: أن فصاحة العرب أكثرها في وصف مشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة

---

(١) الانتصار للباقلاني جـ٢ صـ٨٠٠ : ٨٠٣ بتصرف ط: دار الفتح ـــــ عمان.

وليس في القرآن من هذه الأشياء شيء فكان يجب أن لا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت العرب عليها في كلامهم.

وثانيها: أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب في جميعه وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيدًا ألا ترى أن لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما أسلما نزل شعرهما. ولم يكن شعرهما الإسلامي في الجودة كشعرهما الجاهلي وأن الله تعالى مع ما تنزه عن الكذب والمجازفة جاء بالقرآن فصيحًا كما ترى.

وثالثها: أن الكلام الفصيح والشعر الفصيح إنما يتفق في القصيدة في البيت والبيتين. والباقي لا يكون كذلك، وليس كذلك القرآن لأنه كله فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته.

ورابعها: أن كل من قال شعرًا فصيحًا في وصف شيء فإنه إذا كرره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الأول. وفي القرآن التكرار الكثير ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت أصلا.

وخامسها: أنه اقتصر على إيجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة، وأمثال هذه الكلمات توجب تقليل الفصاحة.

وسادسها: أنهم قالوا إن شعر امريء القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل. وشعر النابغة عند الخوف، وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء، وبالجملة فكل شاعر يحسن كلامه في فن فإنه يضعف كلامه في غير ذلك الفن، أما القرآن فإنه جاء فصيحًا في كل الفنون على غاية الفصاحة، ألا ترى أنه سبحانه وتعالى قال في الترغيب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾(٢) وقال في الترهيب: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ

(١) سورة السجدة: الآية ١٧ .
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧١ .

ٱلْبَرِّ .... الآيات ﴾(١) وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُمْ .... الآيات ﴾(٢) وقال: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾(٣) إلى قوله: ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾(٤) وقال في الزجر ما لا يبلغه وهم البشر وهو قوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾(٥) إلى قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَآ ﴾(٦) وقال في الوعظ ما لا مزيد عليه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾(٧) وقال في الإلهيات: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ .... الآيات ﴾(٨).

وسابعها: أن القرآن أصل العلوم كلها فعلم الكلام كله في القرآن، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه.وعلم النحو واللغة، وعلم الزهد في الدنيا وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق.

فالقرآن الكريم قد بلغ في جميع وجوه الفصاحة إلى النهاية القصوى.

الطريق الثاني: أن القرآن لا يخلوا إما أن يقال إنه كان بالغًا في الفصاحة إلى حد الإعجاز، أو لم يكن كذلك فإن كان الأول ثبت أنه معجز. وإن كان الثاني كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة فعدم إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفر دواعيهم على الإتيان بها أمر خارق العادة فكان ذلك معجزًا فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه وهذا الطريق أقرب إلى الصواب[٩].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٨ .
(٢) سورة الملك: الآية ١٦ .
(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٥ .
(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٧ .
(٥) سورة العنكبوت: الآية ٤٠ .
(٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٠ .
(٧) سورة الشعراء: الآية ٢٠٥ .
(٨) سورة الرعد: الآية ٨ .
(٩) راجع: تفسير الفخر الرازي: مجلد١/ جـ١/ ١٢٧، ١٢٨ .

والباقلاني أيضًا[١] يرد إعجاز القرآن إلى نظمه البديع وتأليفه العجيب فبديع نظمه المتضمن للإعجاز يشتمل وجوهًا منها:

١ - أن النظم يباين المألوف من كلام العرب، ويتميز عن أساليبهم المضادة رغم تعدد مذاهبه وتصرف وجوهه، فالقرآن ليس شخصًا وليس شعرًا وليس خطاب وليس جاريًا مجرى الرسائل.

٢ - إن العرب رغم فصاحتهم لم يشتمل كلامهم على هذه الفصاحة والغرابة والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول.

٣ - أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما ينصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ويشتمل عليها، وإنما هو على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، وكذلك الإعجاز في ما يتصرف إليه وجوه الخطاب في الآيات الطويلة والقصيرة على حد واحد لا يختلف، وكذلك لا تفاوت فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا أنه مما لا يقدر عليه البشر.

٤ - أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتًا بينًا في الفصل والوصل والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، والقرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة.

٥ - أن نظم القرآن وقع موقعًا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الأنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا.

٦ - أن الذي ينقسم إليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم -

---

(١) جـ١/ صـ٦٩، صـ٧٠ .

موجود في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والبلاغة.

٧ - أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضًا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع.

٨ - أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف الكلام فتتشوق إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديًا، كالدرة التي ترى في سلك من خرز وكالياقوتة في واسطة العقد.

والكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غيره جميعه وواسطة عقده والمنادى على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله، فتحيروا فيه أهل الفصاحة وعجزوا عن المعارضة لعصور فصاحتهم دونه ولعلمهم بعجزهم عنه.

٩ - إن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفًا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفًا، ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم.

١٠ - أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحش المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبًا إلى الأفهام، يعاد معناه لفظه إلى القلب ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوه في موقعه - أن يقدر عليه أو يظفر به(١).

---

(١) راجع: إعجاز القرآن ـــــ أبوبكر الباقلاني محمد بن الطيب ـــــ ط: دار المعارف ـــــ الطبعة الخامسة ـــــ تحقيق السيد أحمد صقر جـ١/ صـ٦٩، ٧٠، ٧١ بتصرف.

ولهذه الأسباب نقول: إن متشابه النظم في القرآن بما فيه من إعجاز لا يمكن أن يتسرب إليه الطعن، لأن بلاغة القرآن وفصاحته لا تخلو منها سورة من سور القرآن، ولا آية من آياته.

وإذا كان التحدي قد وقع بأن يأتوا بسورة من مثله، فهذا ينطبق على القرآن الكريم بأسره، فليست فيه سورة بليغة دون أخرى.

ويقول ابن عطية: «وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله تعالى أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجمل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرًا لم يكن قط محيطًا، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، ويظهر لنا قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطة أو قصة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لأخر نظيره فيأخذها فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وأما كتاب الله لو نزعت منه لفظه ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[١].

فسر الإعجاز هو في النظم بجهاته الثلاث الحروف والكلمات والجمل[٢].

إذن نظم القرآن من أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إن لم يكن أهمها على الإطلاق.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبومحمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي جـ١/ صـ٥٢/ ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق بن عبدالرازق بن سعيد بن أحمد الرافعي جـ١ صـ١٤٦ ط: دار الكتاب العربي بيروت.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لقد استخلصت من دراسة هذا البحث: «تأملات في متشابهات آيات سورة المائدة» والرد على الطاعنين.

النتائج الآتية:

أولاً: أن متشابه النظم في المبحث الأول في آيات سورة المائدة مع آيات سورة المائدة عبارة عن:

أ) متشابه النظم من حيث اختلاف الألفاظ من حيث الاسمية والفعلية كما في الآية الأولى.

ب) من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف كما في الآية الثانية.

ج) من حيث الاتفاق كما في الآية الثالثة والخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة.

د) من حيث الاختلاف من حيث إبدال حرف بحرف كما في الآية الرابعة.

ه) من حيث الاختلاف حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير كما في الآية السابعة.

و) متشابه النظم من حيث الاختلاف من حيث الفصل والوصل كما في الآية العاشرة.

ثانيًا: أن متشابه النظم في المبحث الثاني في آيات سورة المائدة مع آيات سور أخرى عبارة عن:

ز) متشابه النظم من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الذكر والحذف كما في الآية الأولى والسادسة والسابعة والتاسعة والثالثة عشر والسادسة عشر.

ح) من حيث الاختلاف من حيث الألفاظ والصيغة كما في الآية الثانية والرابعة والعاشرة، والحادية عشر، والسادسة عشر، والعشرون.

ط) من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث التقديم والتأخير كما في الآية الثالثة والخامسة والثامنة والثانية عشر والرابعة عشر.

ي) ومن حيث إبدال حرف بحرف كما في الآية الثالثة عشر.

ك) متشابه النظم من حيث الاختلاف من حيث التركيب من حيث الفصل والوصل كما في الآية الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر والرابعة والعشرون.

ثالثًا: أن متشابه النظم في القرآن من الأهمية بمكان حيث:

١ - كشف عن أوجه إعجاز القرآن وبيان كونه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، فنظم القرآن من أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إن لم يكن أهمها على الإطلاق.

٢ - رد على الطاعنين على القرآن والمفترين عليه بسبب ما فيه من متشابه النظم ببيان وجوه إعجازه وأسرار متشابه نظمه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع

القرآن الكريم.

مراجع التفسير:

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود – ط:دار إحياء التراث – بيروت.

البحر المحيط لأبي حيان ـــــــ ط: دار الفكر.

التحرير والتنوير لابن عاشور – ط: الدار التونسية.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – ط: دار الكتب المصرية – القاهرة.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري – ط:دار الكتاب العربي – بيروت.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

أنوار التنزيل وأسرار التأول للبيضاوي – ط: دار الفكر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير – ط: دار الكتب العلمية.

تفسير القرآن للسمعاني – ط: دار الوطنية – الرياض – السعودية.

جامع البيان للطبري – ط: دار هجر.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان – ط: المكتبة العصرية للطباعة.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني – ط: دار الحديث.

محاسن التأويل للقاسمي – ط: دار الكتب العلمية.

مفاتيح الغيب للفخر الرازي – ط: دار الفكر.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل للغرناطي – ط: دار الكتب العلمية.

نظم الدرر للبقاعي – ط: دار الكتب العلمية.

مراجع علوم القرآن:

١- أسرار التكرار للكرماني - ط: دار الفضيلة.

٢- الانتصار للقرآن للباقلاني - ط: دار الفتح - عمان - بيروت.

٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي - ط: دار إحياء الكتب العربية.

٤- إعجاز القرآن للباقلاني - ط: دار المعارف.

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي - ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

٦- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي - ط: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - مكة المكرمة.

٧- دلائل الإعجاز للجرجاني - ط: دار الكتب العلمية.

٨- متشابه القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية للأستاذ الدكتور السيد إسماعيل علي سليمان - ط: الأولى ٢٠١٩م.

مراجع السنة الشريفة:

أ) صحيح مسلم بشرح النووي - ط/ دار الريان.

ب) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - ط:دار الريان.

مراجع اللغة:

- لسان العرب لابن منظور - ط/ دار صادر - بيروت.
- مختار الصحاح للرازي - ط: دار المنار.

Almarajie

1 - Alquran Alkarim.

marajie altafsiri:

2 - 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alquran alkarim li'abi alsueud - ta:dar 'iihya' alturath – bayrut.

3 - albahr almuhit li'abi hayaan ta: dar alfikri.

4 - altahrir waltanwir liabn eashur - ta: aldaar altuwnusiati.

5 - aljamie li'ahkam alquran lilqurtubii - ta: dar alkutub almisriat – alqahirati.

6 - alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil lilzamakhshiri - ta:dar alkitaab alearabii – bayrut.

7 - almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz liabn eatiat - ti: dar alkutub aleilmiat – bayrut.

8 - 'anwar altanzil wa'asrar alta'awul lilbaydawii - ta: dar alfikri.

9 - tafsir alquran aleazim liabn kathir - ta: dar alkutub aleilmiati

10 - tafsir alquran lilsimeanii - ta: dar alwataniat - alriyad – alsaeudiatu

11 - jamie albayan liltabarii - ta: dar hijar

12 - ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathanii lil'alusii - ta: dar alkutub aleilmiat – bayrut

13 - fatah albayan fi maqasid alquran lisadiq khan - ta: almaktabat aleasriat liltibaeati0 14 - fath alqadir aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat lilshuwkani - ta: dar alhadithi0 15 - mahasin altaawil lilqasimii - ta: dar alkutub aleilmiati

16 - mfatih alghayb lilfakhr alraazii - ta: dar alfikri

17 - mlak altaawil alqatie bidhawi al'iilhad waltaetil fi tawjih mutashabih allafz min ay altanzil lilghurnati - ta: dar alkutub aleilmiati

18 - nuzum aldarar lilbiqaeii - ta: dar alkutub aleilmiati

marajie eulum alqurani:

1 - 'asrar altakrar lilkarmanii - ta: dar alfadilati
2 - aliantisar lilquran lilbaqlanii - ta: dar alfath - eamaan – bayrut.
3 - alburhan fi eulum alquran lilzarkashii - ta: dar 'iihya' alkutub alearabiati
4 - 'iiejaz alquran lilbaqlanii - ta: dar almaearifi
5 - 'iiejaz alquran walbalaghat alnabawiat limustafaa sadiq alraafieii - ta: dar alkitaab alearabii – bayrut
6 - darat altanzil waghurat altaawil lilkhatib al'iiskafii - ta: jamieat 'umi alquraa - maehad albuhuth aleilmiat - makat almukaramati
7 - dalayil al'iiejaz liljirjanii - ta: dar alkutub aleilmiati
8 - mitashabih alquran alkarim dirasat nazariat tatbiqiat lil'ustadh alduktur alsayid 'iismaeil eali sulayman - ta: al'uwlaa 2019m

marajie alsunat alsharifati:

1 - shih muslim bisharh alnawawii - ti/ dar alrayan
2 - fatah albari bisharh sahih albukharii liabn hajar aleasqalanii - ta:dar alrayan

marajie allughati:

1 - lisan alearab liabn manzur - ta/ dar sadir – bayrut.
2 - mukhtar alsihah lilraazii - ta: dar almanari.